وحيد تفتح

باب الحج المجانى !!

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

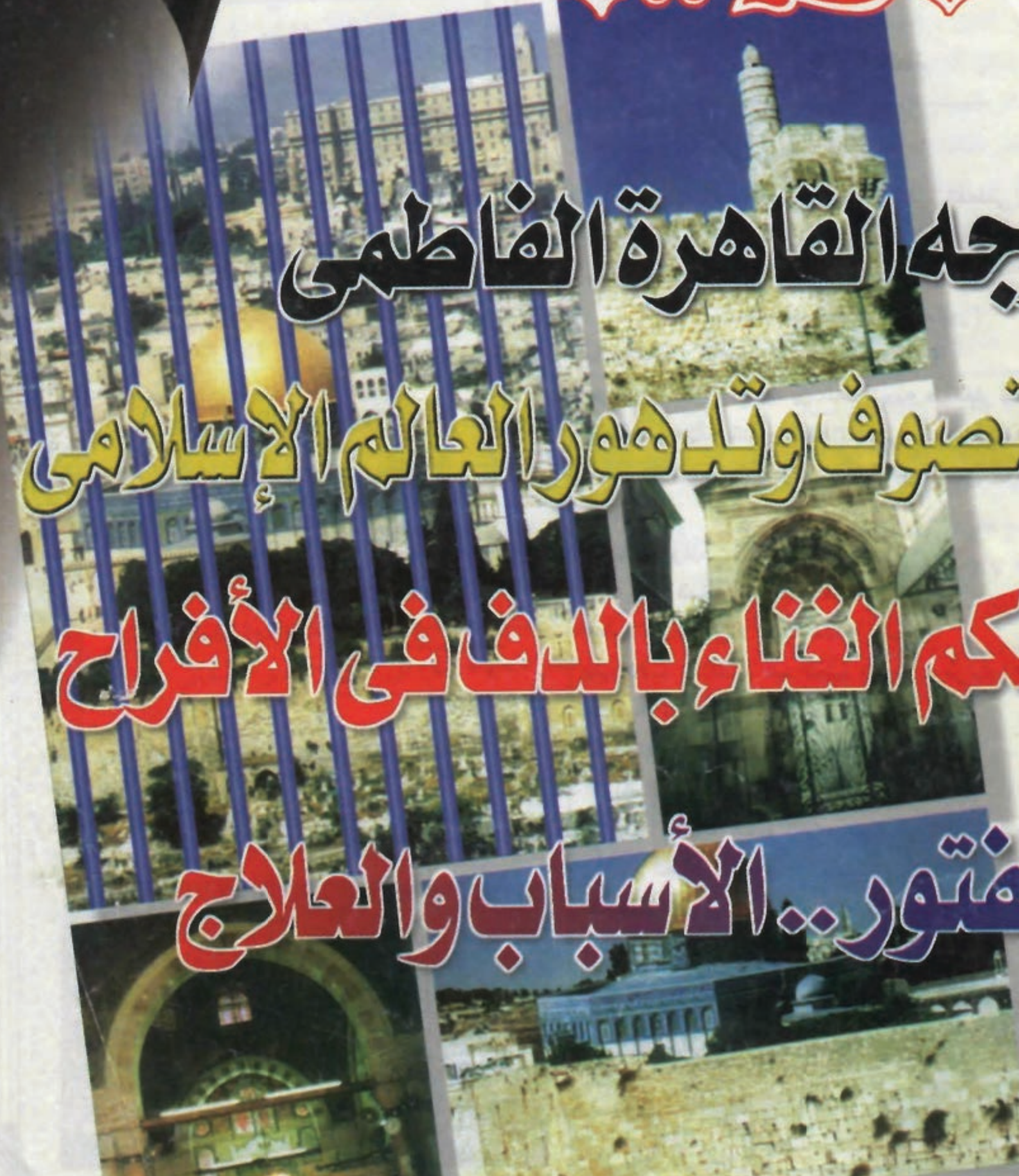

وجه القاهرة الفاطمى

التصوف وتدهور العالم الإسلامى

حكم الغناء بالدف فى الأفراح

الفتور.. الأسباب والعلاج

السنة السابعة والعشرون - العدد الثانى - صفر ١٤١٩

الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

التحرير

٨ شارع قوله

عابدين - القاهرة

☎ : ٣٩٣٦٥١٧

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

☎ : ٣٩١٥٤٥٦

الاشتراك السنوي :

١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم : مجلة التوحيد- على مكتب عابدين .

٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي- فرع القاهرة- باسم: مجلة التوحيد- أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠).

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين

هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام : (وجه القاهرة الفاطمي) ٢

كلمة التحرير : رئيس التحرير : (الفتور : الأسباب والعلاج) ٦

باب التفسير : الشيخ عبد العظيم بدوي (الحث على المغالاة في المهور) ١٢

باب السنة : الرئيس العام : (جمع القرآن) ١٦

موضوع العدد : د. محمد بن سعد الشويعرهل الفكر بضاعة ٢٠

التصوف وعلاقته بتدهور العالم الإسلامي: أ.د. إبراهيم هلال ٢٥

أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني ٢٦

الفتاوى : ٣٠

عقائد الصوفية : أ. محمود المراكبي ٣٦

من روائع الماضي : (الحب في الله) ٤٠

الحسد في القرآن : الشيخ أسامة سليمان ٤٢

باب الأدب : د.السيد عبد الحليم (الإيمان ومزاياه [٢]) ٤٦

الاقتصاد الإسلامي : أ.د. علي السالوس ٥٠

قصيدة : (وا قدساه) : أ. سليم شلبي ٥٥

التراجم : بقلم / فتحي أمين عثمان (الشيخ محمد الحاج علي) ٥٦

هذا هو الطريق : أبو بكر الحنبلي ٥٨

آفة العلم الهوى [٢] : الشيخ سليمان الماجد ٦١

مسابقة التوحيد الكبرى : مجلة التوحيد ٦٣

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

مع القراء

السجن العمومي

العاصي سجنته نفسه الأمَّارة بالسوء ، فلا يفعل إلا ما تريده وتهواه ، والمبتدع سجنته بدعته ، والأسرة المسلمة قد سجنها جهاز التلفاز ! فلا تأكل إلا من أطباقه ، ولا تلبس إلا من أذواقه ! ولا تشتري إلا من إعلاناته ! وكثير من الشعوب المسلمة قد سجنها حكامها ؛ فلا يرون إلا ما يرى ، ولا يفكرون إلا بعقله ؛ لا يسبقونه بالقول ولا بالفعل ، وهم بأمره يعملون ! وكثير من الحكومات سجنها النظام العالمي الجديد ، وصدق من قال : من لا يملك قوته لا يملك إرادته - والقائل السادات .

والنظام العالمي الجديد قد سجنه الشيطان ، وأملى عليه أن ينشر الفساد في الأرض .

وبهذا أصبحت الأرض سجنًا عموميًا !! لا يخرج منه إلا من عرف الطريق إلى الله ، واستقام عليه ؛ وهذا هو الحر الوحيد الذي يعيش فوق هذا الكوكب .

﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ .

رئيس التحرير

اقرأ في العدد القادم

(إن شاء الله)

- **العدة والحداد**
  الرئيس العام
- **استوصوا بالنساء خيرًا**
  فضيلة الشيخ
  عبد العظيم بدوي
- **يوسف عليه السلام في بيت العزيز**
  عبد الرازق السيد عيد

- التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض .

- التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة.

ثمن النسخة : السعودية ٦ ريالات - الإمارات ٦ دراهم - الكويت ٥٠٠ فلس - المغرب دولار أمريكي - الأردن ٥٠٠ فلس - السودان ١.٥٠ جنيه مصري - العراق ٧٥٠ فلس - قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشا - عمان نصف ريال عماني .

وجه القاهرة الفاطمي

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقه وإمام رسله وخاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه وسلم ، وبعد :

فإن أصواتًا ترتفع لإعادة الوجه الفاطمي للقاهرة ، وذلك مما يذكر بضرورة بيان ذلك الوجه ومعالم الحكم الفاطمي .

نسب الدولة الفاطمية : ينتسب الفاطميون الذين حكموا المغرب وثبتت دولتهم في مصر زمنًا طويلاً إلى عبيد الله بن ميمون القداح ، والمحققون من أهل العلم على أنه دعيّ في نسبته إلى جعفر الصادق نسبة كاذبة ، وذلك لأمور عدة منها :

أولاً : أن نسب الأشراف خاصة أولاد علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، معروف وإن التصق به كثير من الكذبة والدجالين .

ثانيًا : أن العزيز بالله صاحب مصر كتب كتابًا للأموي صاحب الأندلس هجاه فيه ، فكتب إليه الأموي : (أما بعد ؛ فإنك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك) ، فاشتد هذا على العزيز ، وأفحمه عن الجواب ؛ بما يدل على أنه دعي .

ثالثًا : أن المعز لما سأله بعض العلماء أن يظهر لهم نسبه ، قال : غدًا أخرجه لكم ، ثم أصبح وقد ألقى كومًا من ذهب وقال : هذا نسبي ، ثم جذب نصف سيفه من غمده ، وقال : وهذا حسبي ، من هنا اشتهر في الأمثال : (سيف المعز وذهبه) .

رابعًا : ما ألقي إليه على منبره من شعر جاء فيه :

إنـــا سمعنـــا نسبًا منكـــرًا ... يتلـى علـى المنبـر الجامـع
إن كنـت فيمـا تـدعي صـادقًا ... فاذكر أبًا بعد الأب الرابـع

خامسًا : قول ابن كثير في « البداية والنهاية » : ومما يدل على كذبهم قول ابن عمر للحسين بن علي حين أراد الذهاب إلى العراق : لا تذهب إليهم ، فإني أخاف عليك أن تقتل ، وإن جدك قد خيِّر بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا ، وأنت بضعة منه ، وإنه والله لا ينالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك ، فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول من هذا الصحابي الجليل يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى ابن مريم رغبة بهم عن الدنيا وأن لا يدنسوا بها وهؤلاء ملكوا مصر مدة طويلة ، فهذه دلالة قوية على أنهم ليسوا من أهل البيت . (انتهى) .

مذهبهم : قال ابن كثير : هم خوارج كذبة ، وكان الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون للإسلام جاحدون ، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون ، قد عطلوا الحدود ، وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمر ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأبناء ، ولعنوا السلف ، وادعوا الربوبية .

قال الباقلاني : هم قوم يظهرون الرفض⁽¹⁾ ، ويبطنون الكفر المحض .

في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أمر جوهر قائد المعز المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بـ (حي على خير العمل) ، وأن يجهر الأئمة بالتسليمة الأولى ، وكتب لعنة الشيخين على أبواب الجوامع وأبواب المساجد .

دخل المعز إلى السرداب فتوارى عن الناس سنة ، ثم عاد ، وفي هذه السنة كانت المغاربة إذا رأوا سحابًا ترجل الفارس منهم له عن فرسه وأومأ إليه بالسلام ، ظانين أن المعز في ذلك الغمام .

يقول شيخ الإسلام: القرامطة الخارجون بأرض العراق كانوا سلفًا لهؤلاء القرامطة ، ذهبوا من العراق إلى المغرب ، ثم جاءوا من المغرب إلى مصر ، فإن كفر هؤلاء وردتهم من أعظم الكفر والردة ، وهم أعظم كفرًا وردة من أتباع مسيلمة الكذاب ونحوه من الكذابين ، فإن أولئك لم يقولوا في الإلهية والربوبية والشرائع ما قاله أئمة هؤلاء .

وقال شيخ الإسلام : في أثناء دولتهم يخاف الساكن بمصر أن يروي حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتل ، وكانوا ينادون بين القصرين : من لعن وسب فله دينار وأردب ، وكان بالجامع الأزهر عدة مقاصير يلعن فيها الصحابة ، بل يتكلم فيها بالكفر الصريح ، وكانوا لا يدرسون في مدارسهم علوم المسلمين .

الافتتاحية

وقال ابن كثير : الحاكم بأمر الله هو الذي تنسب إليه الفرق الضالة المضلة الزنادقة الحاكمية ، وتنسب إليه الدرزية ، وهم أتباع هستكر غلام الحاكم ، بعثه إليهم يدعوهم إلى الكفر المحض فأجابوه .

وقال ابن كثير : الحاكم بأمر الله كان كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله جائرًا ، وقد كان يرجو أن يدعي الألوهية كفرعون أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفًا إعظامًا لذكره واحترامًا لاسمه ، فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين ، وأمر أهل مصر إذا قاموا عند ذكره خروا سجدًا له ، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة ويسجدون للحاكم .

أمر أهل الكتابين بالدخول في دين الإسلام كرهًا ، ثم أذن لهم في العود إلى دينهم وخرب كنائسهم ، ثم عمرها ، وبنى المدارس وجعل فيها الشيوخ ، ثم قتلهم وخربها ، وألزم الناس بغلق الأسواق نهارًا وفتحها ليلاً ، وامتثلوا ذلك دهرًا ، فاجتاز يومًا برجل يعمل النجارة في أثناء النهار ، فوقف عليه فقال : ألم أنهاكم ؟ فقال : يا سيدي ، لما كان الناس يتعيشون بالنهار كانوا يسهرون بالليل ، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار ، فهذا من جملة السهر ، فتبسم وتركه ، وأعاد الناس إلى أمرهم الأول ، كل ذلك يختبر طاعة العامة له .

وكان يركب حمارًا ويدور في الأسواق ، فمن وجده قد غش في معيشته أمر عبدًا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى ، وهذا أمر منكر ملعون لم يسبقه إليه أحد .

كانت العامة تبغضه وتكتب شتمةٍ في الأوراق التي تصل إليه ، ويكتبون في ذلك قصصًا ، حتى صوروا امرأة من ورق وفي يدها قصة من الشتم واللعن ، فلما رآها ظنها امرأة ، فذهب ناحيتها ، وأخذ القصة من يدها فقرأها ، فرأى ما فيها ، فأغضبه جدًا ، فأمر بقتل المرأة ، فلما تحققها من ورق ازداد غيظًا إلى غيظه ، واشتد أمره من الظلم حتى عَنَّ له أن يدعي الربوبية ، فصار قوم من الجهال إذا رآه يقولون : يا واحد ، يا أحد ، يا محيي ، يا مميت ، قبحهم الله جميعًا .

أعلن الدعوة إلى تأليهه سنة ٤٠٧ هـ في مساجد القاهرة ، وفتح سجلاً تكتب فيه أسماء المؤمنين به ، فاكتتب من أهل القاهرة سبعة عشر ألفًا كلهم يخشون بطشه ، وسمي بعدها (الحاكم بأمره) . (انتهى) .

فانظر - رعاك الله - لتعلم أن الدولة الفاطمية أصلها من قرامطة الإحساء والقطيف أصحاب الكفريات الذين استباحوا دم الحجيج ، وأنهم انتقل منهم إلى العراق ، ثم إلى المغرب ، ثم إلى مصر ، ولما نزع القرامطة الحجر الأسود ما أرجعوه إلا بشفاعة العزيز بالله بما يبين الصلة بينهم .

فهذا هو الوجه الفاطمي - ما أبشعه - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كلمة تاريخية مختصرة مما كتبه د . حسين مؤنس : العصر الفاطمي في مصر بدخول جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمي الفسطاط في شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، ولكن الخلافة الفاطمية في مصر تبدأ بدخول المعز

لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين في مدينة الإسكندرية في ٤ شعبان سنة ٣٦٢ هـ ، ٣٠ مايو سنة ٩٧٣م ، ثم دخوله القاهرة بعد ذلك بشهر ونزوله في القصر الذي بناه له جوهر قائده عندما دخل البلاد قبل ذلك بأربع سنوات ، ولم يطل عمر المعز في مصر ، فقد توفي في ٥ ربيع الثاني ٣٦٥ هـ ، أي أنه حكم مصر سنتين وتسعة أشهر هجرية ، وأثبت فيها أنه أقدر خليفة فاطمي عرفته مصر ؛ لأن الذين جاءوا بعده كانوا أقل منه من كل ناحية ، وعلى أي حال فإن المتواتر في كتب التاريخ أن مصر تحولت من إمارة مستقلة في الظاهر إلى خلافة مستقلة بنفسها ، وأن شعب مصر لم يعترف في قرارة نفسه بتلك الخلافة؛ لأنها كانت شيعية إسماعيلية ، في حين أن الغالبية من أهل مصر كانوا أهل سنة وجماعة .

ولكن الفاطميين لم يكادوا يستقرون في مصر حتى واجهوا عداء القرامطة لهم ، والقرامطة فرقة سياسية دينية شيعية المذهب ، تنسب إلى رجل يسمى حمدان قرمط ، كان من كبار دعاة المذهب الإسماعيلي .

ولم تكن دولة القرامطة دولة بالمعنى الصحيح ، ولكنها كانت قوة عسكرية بدوية تستطيع إقلاق راحة الدول المجاورة ، وتعتمد في حياتها على الغارات التي تشنها على البلاد المجاورة وتغنم منها وتعود جيوشها إلى مراكزها في الإحساء ، وكان القرامطة أعداء ألدّاء للدولة العباسية طوال أيامهم ، أما علاقتهم مع الفاطميين فكانت علاقة صداقة في أول الأمر ، فلما أصبح الفاطميون خلفاء مصر انقلب عليهم القرامطة وأخذوا يشنون الغارات على مصر والشام ، وأغاروا على الحجاز ومكة وسرقوا الحجر الأسود ، وأخذوه إلى الإحساء ، حيث ظل هناك حتى أعادوه إلى مكة بتوسط الخليفة الفاطمي العزيز بالله .

وكان الحكم الفاطمي في مصر حكمًا ناجحًا مستقرًا حتى نهاية حكم الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين بمصر ٩ رمضان سنة ٣٨٦هـ حتى ٢٧ شوال ٤١١ هـ ، وبعد ذلك اضطرب الحكم اضطرابًا شديدًا ، وانتقل السلطان إلى الوزراء ، فأصبحوا المسيطرين الحقيقيين على الدولة ؛ لأن الخلفاء الفاطميين تدهور أمرهم ، عندما نزل الصليبيون أرض الشام ظن وزراء الفاطميين أنهم يستطيعون التعاون معهم على أعدائهم في الشام وانتهزوا فرصة الفوضى عند إغارة الصليبين على الشام واستولوا على بيت المقدس . ،

صعد العزيز يومًا على المنبر ، فرأى ورقة فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقه
إن كنت أعطيت علم الغيب فقل لنا كاتب البطاقه

قال ابن خلكان : وذلك لأنهم ادعوا علم الغيب ولهم في ذلك أخبار مشهورة .

وصلّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) يظهرون الرفض : أي أنهم شيعة .

كلمة التحرير

الفتور..

بقلم رئيس التحرير

صفوت الشوادفي

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فإن المسلم يجد نفسه أحيانًا قد قوي إيمانه ، وزاد يقينه ، فازداد إقبالاً على ربه ، ومسارعة إليه ، ومنافسة لغيره في الطاعات والخيرات .

وفي حين آخر يرى في نفسه تهاونًا وضعفًا ، وإهمالاً وتركًا ، فيعتريه الكسل والملل .

وهو في هذا الحال من ضعف همته ، وانهيار عزيمته إما أن يلجأ إلى الله فيحظى بتوفيقه وعنايته ، حتى يعود إلى سيرته الأولى ، وإما أن يخلد إلى الأرض ، ولا يؤدي إلا الفرض ! فيفضي به ذلك إلى البعد والانحراف - والعياذ بالله - من أجل هذا كان هذا الحديث عن الفتور ؛ وهو مرض خطير ، وداء كبير يصيب السالكين إلى الله من الدعاة وطلبة العلم وغيرهم من المؤمنين ؛ نقول مستعينين بالله :

❋ الفتور لغة : ضعف وانكسار :

قال الراغب : الفتور سكن بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة .

فالفتور : كسل وتراخ وتباطؤ بعد جدٍّ ونشاط وحيوية .

❋ الفتور كما ذكره القرآن الكريم والسنة :

قال تعالى عن الملائكة : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [الأنبياء : ٢٠] .

وقال عنهم : ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ [فصلت : ٤١] .

الأسباب والعلاج

وقال عن أهل النار : ﴿ لا يفترَّ عنهم وهم فيه مبلسون ﴾ [الزخرف : ٧٥] .

وقال سبحانه : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ [المائدة : ١٩] .

❋ وفي السنة الصحيحة : ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس ، رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ، فإذا حبلٌ ممدود بين ساريتين ، فقال : ((ما هذا الحبل ؟)) قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((حلُّوه ؛ ليصلِّ أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد)) .

❋ قال ابن القيم ، رحمه الله : تخلل الفترات للسالكين أمرٌ لا بد منه ! فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد ، ولم تخرجه من فرض ، ولم تدخله في محرم رجي له أن يعود خيرًا مما كان .

والمتتبع لأقوال أهل العلم في مسألة الفتور يرى أنهم جعلوها مرحلة بين الالتزام والانحراف !

فالمسلم يكون ملتزمًا بالكتاب والسنة على خير الوجوه ، فيؤدي الفرائض والنوافل ، ويشارك في الدعوة إلى الله بقدر ما يستطيع ، ويرى في نفسه همة ونشاطًا وإقبالاً على الله وعلى القرآن .

وقد يكون المسلم منحرفًا فاسقًا معرضًا مقيمًا على المعاصي ، أما المسلم الفاتر ! فهو يكتفي بالفرائض دون أن تغير من واقعه شيئًا ، أو تدفعه إلى الأمام ، أو تقوي همته ، وتشحذ عزيمته ، وقد وقف في وسط

المسلم يكون ملتزمًا بالكتاب والسنة على خير الوجوه ، فيؤدي الفرائض والنوافل ، ويشارك في الدعوة إلى الله بقدر ما يستطيع ، ويرى في نفسه همة ونشاطًا وإقبالاً على الله وعلى القرآن .

الطريق بين الملتزمين والمنحرفين ، ويحتاج كل مسلم أن يعرف نفسه إن كان مصابًا بمرض الفتور – وهو من أمراض القلب – أم لا .

من أجل هذا وضع العلماء للفتور علامات يعرف بها ، من أهمها :

١- التكاسل عن العبادات والطاعات ؛ وهذا لا يعني ترك الفريضة وإلا كان فاسقًا عاصيًا ، ومع هذا فهو متشبه بالمنافقين – وإن لم يكن منهم – حيث إنهم : ﴿ .. لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ [التوبة : ٥٤] .

٢- الشعور بقسوة القلب وخشونته ؛ قال الله عز وجل : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [الحديد : ١٦] .

وعلامة قسوة القلب عدم التأثر ! وأهم المؤثرات ثلاثة : القرآن ، والموت ، والوعظ ؛ فالقلب القاسي لا يتأثر بشيء من هذه الثلاثة عند استماعها أو قراءتها أو رؤيتها !!

٣- عدم استشعار المسئولية الملقاة على عاتقه ؛ فهو لا يحمل همّ الدعوة ، ولا يشغله ما آل إليه حال الأمة من تمزق وضياع وبعدٍ عن الله .

٤- الاهتمام بالدنيا والانشغال بها بطريقة تفسد الآخرة ، وتمنع الاستعداد للقاء الله ! والدنيا حلوة خضرة ، وقلّ من ينجو منها !

٥- كثرة الكلام فيما لا ينفع ، وإضاعة الوقت بغير فائدة ، فمجالس الطائعين تتميز بذكر الله ، ومجالس العصاة تعرف بالمعاصي ، ومجالس الفاترين معظمها لغو الحديث .

٦- الاستهانة بصغائر الذنوب ؛ وهي ذنب أعظم من الذنب ! وهي أيضًا من علامات ضعف الإيمان .

٧- التسويف والتأجيل مع الإخلاد إلى الأرض ، ومن تدبر قول الله عز وجل : ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر .. ﴾ [التوبة : ٨١] ، فهم

من علامات الفتور التكاسل عن العبادات والطاعات ، والشعور بقسوة القلب وخشونته وعدم استشعار المسئولية الملقاة على عاتقه ، والاهتمام بالدنيا والانشغال بها بطريقة تفسد الآخرة ، وكثرة الكلام فيما لا ينفع والاستهانة بصغائر الذنوب .

حقيقة التسويف .

وهذا القدر الذي ذكرناه هو أهم أعراض مرض الفتور ، فمن وجد شيئًا منها في نفسه ، فليعلم أنه مصاب بهذا المرض ، وهذا يعني أن للفتور أسبابًا تؤدي إليه ، ومن أهمها :

أسباب الفتور :

١- عدم الإخلاص ، أو عدم مصاحبته ، وتحقيق الإخلاص الخالي من الشوائب ، وحظ النفس هو أشق شيء على النفس .

٢- ضعف العلم الشرعي ؛ ومن المعلوم أن العلم النافع يورث الخشية : ﴿ إنما يخشى اللَّه من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] .

٣- تعلق القلب بالدنيا ، ونسيان الآخرة ؛ وعلامة ذلك حديث اللسان !! فإن اللسان يكرر الحديث عن أهم ما في القلب ، فإن كان القلب مشغولاً بالآخرة كثر حديث اللسان عنها ، والعكس بالعكس ؛ قال الشاعر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنـ ـما جعل الفؤاد على اللسان دليلاً

٤- فتنة الزوجة والأولاد ؛ بتقديم ما يحبونه على ما يحبه اللَّه عند التعارض ؛ قال تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم ﴾ [التغابن : ١٤] .

٥- الحياة في الأجواء الفاسدة (التأثر بالبيئة) ؛ وتدبر في ذلك كيف بين رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ، ثم سأل عالمًا عن توبته ، فأرشده إلى الهجرة من قريته (بيئته) إلى قرية (بيئة) أخرى .

٦- مصاحبة ذوي الإرادات الضعيفة ، والهمم الهابطة ؛ وهذا يؤدي إلى موت الهمة ، وضعف العزيمة ، وعلامة ذلك ما تراه في كثير من المسلمين الذين يحصرون تفكيرهم في تدبير الأقوات والنفقات وتحسين الدخل وتأمين مستقبل الأبناء !!

٧- المعاصي والمنكرات وأكل الحرام .

من أهم أسباب الفتور عدم الإخلاص ، وضعف العلم الشرعي ، وتعلق القلب بالدنيا ، ونسيان الآخرة ، وفتنة الزوجة والأولاد والحياة في الأجواء الفاسدة ، ومصاحبة ذوي الإرادات الضعيفة .

قال ابن القيم ، رحمه الله : (ومن عقوباتها - أي المعاصي - أنها تضعف سير القلب إلى الله ، والدار الآخرة ؛ أو تعوقه ، وتوقفه ، وتعطفه عن السير ؛ فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة ، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه ؛ فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر) .

٨- عدم وضوح الهدف ؛ فكثير من الناس اليوم يعيش في الحياة بلا غاية ، أو بغايات دنيئة !! فهو لا يفهم الغاية ، ولا يفكر في النهاية !

٩- العقبات والمعوقات التي يضعها المجتمع في طريق الدعاة ، وهذه سنة من سنن الله في خلقه وكونه ؛ قال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ﴾ [العنكبوت : ٢] .

١٠- الفردية وترك الجماعة ؛ وهذه العزلة من أشد الأسباب خطرًا وضررًا .

١١- الجمود في أساليب وطرق الدعوة ؛ وذلك بالاقتصار على بعضها دون بقيتها .

١٢- الانحراف عن مسار الهدف الصحيح ؛ وهذا مشاهد عند من تحولت الدعوة عندهم من رسالة إلى وظيفة .

١٣- ضعف التربية ؛ وهذا السبب قد أوجد خللاً واضحًا في المجتمع المسلم ؛ وعلامته التي يمكن أن يعرفها المسلم من نفسه هي أن يكون ظاهره خير من باطنه !

* علاج الفتور :

لكل داء دواء ، والفتور مرض خطير ، وقد وضع العلماء له علاجًا يقضي على أسبابه ، ويمحو آثاره ، فمن ذلك :

أولاً : تعاهد الإيمان وتجديده ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينا القمر مضيء إذ علته سحابة فأظلم ، إذ تجلت عنه فأضاء » .

ثانيًا : مراقبة الله ، والإكثار من ذكره ؛ ولا تتحقق المراقبة إلا بالمصاحبة ، فمن لازم المراقبة أدرك الغاية ، وحسنت النهاية .

جعل الله لكل داء دواء ، وقد وضع العلماء للفتور علاجًا يقضي على أسبابه ، ومن ذلك تعاهد الإيمان وتجديده ، ومراقبة الله والإكثار من ذكره وتصفية القلوب من الأحقاد والحسد وسوء الظن ، وطلب العلم ، والانتظام في مجالسه ، وتنظيم الوقت ومحاسبة النفس .

ثالثا : الإخلاص والتقوى ، وهذا أصل الأصول وسبب النجاة .

رابعًا : تصفية القلوب من الأحقاد والحسد وسوء الظن ، وسائر الأمراض التي تصيب القلب ؛ فإذا صفا القلب سار صاحبه إلى اللَّه في سهولة ويسر لا يتوقف ولا يتراجع .

خامسًا : استمرار الصلة بين العاملين في حقل الدعوة إلى اللَّه ؛ وهذا علاج مهم يقوي العزائم ، ويدفع الهمم ؛ ويتحقق هذا بالزيارة والتماس الأعذار ، مع حسن الظن ، والمصارحة في كل مطارحة .

سادسًا : طلب العلم ، والانتظام في مجالسه .

سابعًا : تنظيم الوقت ، ومحاسبة النفس ؛ فكم من ساعات تنفق في المعاصي ، ومثلها في اللهو واللغو ، وأخرى في المباحات ، والكيس من دان نفسه .

ثامنًا : الوسطية والاعتدال ؛ فالغلو والتشديد على النفس باب الملل وترك المداومة ، والتساهل والتفريط باب الانحراف .

تاسعًا : لزوم الجماعة في كل طاعة مع الاستطاعة .

عاشرًا : التربية الشاملة الكاملة ؛ وذلك بالتصفية من الرذائل والتحلية بالفضائل ؛ وطهارة الباطن تسبق طهارة الظاهر .

حادي عشر : القدوة الصالحة ، ومصاحبة الأخيار .

ثاني عشر : الدعاء والاستعانة باللَّه ، والحذر من العجز .

ثالث عشر : الإكثار من ذكر الموت ، والخوف من سوء الخاتمة .

وبعد : أيها القارئ الكريم .. استحلفك باللَّه أن تعيد قراءة المقال ، وأن تعرض نفسك عليه ، وتقارن ما جاء فيه بالواقع الذي تعيشه ، ثم تختار لنفسك ما هو أنفع لك في دينك ودنياك .

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

صفوت الشوادفي

> قد يكون المسلم منحرفا فاسقا مسرفا مقيما على المعاصي ، أما المسلم الفاتر فهو يكتفي بالفرائض دون أن تغير من واقعه شيئا أو تدفعه إلى الأمام ، أو تقوي همته ، وتشحذ عزيمته .

باب التفسير

الحث على عدم المغالاة في المهور

بقلم الشيخ / عبد العظيم بدوي

قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلةً فإن طبن لكم عن شيءٍ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [النساء : ٤] .

إن سورة « النساء » مليئة بالتشريعات الربانية التي شرعت لتخليص المجتمع المسلم من سمات الجاهلية ، وهذه الآية واحدة من آيات تلك السورة الكريمة ، شرعت للمرأة عند الزواج حقًا معلومًا في مال الزوج ، وأوجبت عليه إذا أراد النكاح أن يعطي المرأة صداقها عن رضا نفس وطيب خاطر ، كما يعطي من يحب من الناس هديةً أو هبة .

وقد كانوا في الجاهلية يتزوج الرجل المرأة بغير مهر ، يقول لها : أتزوجك على أن أرثك وترثيني ، وكان ولي المرأة يقول لصاحبه : أزوجك ابنتي أو أختي على أن تزوجني ابنتك أو أختك ، وكان ولي المرأة هو الذي يقبض صداقها ، لا يحل لها منه شيء ، فحرم الإسلام ذلك كله ، وجعل الصداق واجبًا مفروضًا على الزوج ، وحقًا خالصًا للمرأة ، فإذا طابت نفس الزوجة بعد ذلك عن شيء من الصداق لزوجها فلا حرج ولا جناح على الزوج في قبول ما طابت امرأته به نفسًا من صداقها ؛ لأن العلاقات الزوجية ينبغي أن تقوم على الرضا الكامل ، والاختيار المطلق ، والسماحة النابعة من القلب ، والودّ الذي لا يبقى معه حرج هنا أو هناك .

وقد لاحظ بعض العلماء من هذه الآية ملاحظة لطيفة فقال : قوله تعالى : ﴿ وآتوا النساء ... ﴾* هذا خطاب للأزواج ؛ لأنهم المخاطبون قبلُ في قوله تعالى : ﴿ فانكحوا ﴾ ، فأمرهم بالنكاح ، ثم أمرهم بإيتاء النساء المنكوحات صدقاتهنّ ، وسمى اللَّه تعالى الصداق نحلة ، أي : عطية أوْ هبة أوْ هدية ، فتعين على كل من أراد الزواج أن يعطي امرأته عطية ، وتعين على المرأة قبولها ، وليس لها ولا لوليها رفض هذه العطية لقلتها ، ولا تقديرها ابتداء ،

فالزواج ليس بيعًا ولا شراء ، ولكنه رباط مقدس لاستمرار الحياة وتبادل المنافع ، وللتراحم والتآلف والحب ، والبيع والشراء مظنة المساومة والمشادة والمناورة والغش والخديعة ، والحلف الكاذب ، ولا يجوز أن يكون عقد النكاح كذلك ، ولذلك سُمِّي المهر نحلة ؛ أي عطية وهدية وهبة ؛ لأن الهدية والعطية تكون بين الأحباب ، وتكون عن طيب خاطر ، ورضا نفس ، بخلاف البيع والشراء ، وما دام المهر هدية أو عطية ، فإن الإسلام لم يحدد قيمة المهر قلة أو كثرة ، وإنما ترك ذلك للأزواج ، يدفعون للنساء ما يقدرون عليه دون كلفة أو مشقة ، أو إرهاق أو استدانة ، ولكنه ندب إلى التيسير والتخفيف ، وكره المغالاة التي تكلف الرجل ما لا يملك .

عن عقبة بن عامر ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((خير النكاح أيسره))(١) .

وعن عائشة ، رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من يُمن المرأة تيسير خطبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها))(٢) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينكر على من غالى في المهر وكلف نفسه ما ليس عنده .

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني تزوجت امرأة من الأنصار ، فأعنِّي على مهرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((على كم تزوجتها ؟)) فقال : على أربع أواق - يعني ستين ومائة درهم - فقال صلى الله عليه وسلم : ((على أربع أواق ؟ كأنكم تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل ، ما عندنا ما نعطيك ، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه ، فبعث بعثًا إلى بني عبس فبعثه معهم))(٣) .

وكذلك كان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ينهى الناس عن المغالاة في المهور ، عن أبي العجفاء السلمي قال : خطبنا عمر يومًا فقال : ألا لا تغالوا في صدقات النساء ، فإن ذلك لو كان مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله كان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أصدق صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ، ولا أُصدقت امرأةٌ من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية(٤) .

ولقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً من أصحابه ليس عندهم شيء ، عن سهل بن سعد ، رضي الله عنه ، قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، جئت أهب نفسي لك ، فنظر إليها صلى الله عليه وسلم ، فصعّد النظر فيها وصوّبه ، ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست ، فقام رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله ، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : ((هل عندك شيء ؟)) فقال : لا والله يا رسول الله ، فقال : ((اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا)) ، فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ما وجدت شيئًا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((انظر ولو خاتمًا من حديد)) . فذهب ، ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ولا خاتمًا من حديد ، ولكن هذا إزاري فلها نصفه ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((ما تصنع بإزارك ؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبستْه لم يكن عليك منه شيء)) . فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليًا ، فأُمر به فدُعي ، فلما جاء قال : ((ماذا معك من القرآن ؟)) قال : معي سورة كذا وسورة كذا ، قال : ((تقرؤهن عن ظهر قلبك ؟)) قال : نعم ، قال : ((اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن))(٥) .

وعن عقبة بن عامر ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : ((أترضى أن أزوجك من فلانة ؟)) قال : نعم ، وقال للمرأة : ((أترضين أن أزوجك فلانًا ؟)) قالت : نعم ، فزوج أحدهما صاحبه ، فدخل بها الرجل ولم

يفرض لها صداقًا ، ولم يعطها شيئًا ، وكان ممن شهد الحديبية ، وكان من شهد الحديبية له سهمٌ بخيبر ، فلما حضرته الوفاة قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني فلانة ولم يفرض لها صداقًا ، ولم أعطها شيئًا ، وإني أشهدكم أني أعطيتها من صداقها سهمي بخيبر ، فأخذت سهمًا فباعته بمائة ألف(٦) .

ويؤخذ من هذا : جواز تزوج الفقير الذي ليس عنده شيء ، وأن الفقر لا يمنع الرجل من التقدم للزواج ، ولا يمنع ولي المرأة من تزويجه ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسعٌ عليمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة حقٌ على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والعبد المكاتب ، والناكح للعفاف))(٧) .

كما يؤخذ منه جواز الدخول بالمرأة دون تسمية مهر ، ولكنه يستقر لها في الذمة ، كما يؤخذ منه أن يتزوج الرجل بما تيسر ، حتى إذا بنى بيتًا وأسس أسرة فلا مانع من أن يعطي امرأته ما شاء ، ويشتري لها ما شاء ، أما أن يكلف عدم الدخول حتى يجهز كذا وكذا ، فإن هذا من أكبر أسباب انصراف الشباب عن الزواج وتأخيرهم له .

ولقد كان السلف الصالح رجالاً ونساء ييسرون أمر الزواج ، ولا ينظرون إلى المهر نظرة طمع ، وضربوا في ذلك أروع الأمثلة .

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : خطب أبو طلحة أم سُليم ، فقالت : والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي أن أتزوجك ، فإن تُسلم فذلك مهري ولا أسألك غيره ، فأسلم ، وكان ذلك مهرها .

قال الراوي عن أنس : فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سُليم ؛ الإسلام . فدخل بها فولدت له(٨) .

وعن أبي بكر بن أبي داود قال : كانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك ، فأبى عليه ، فلم يزل يحتال عليه حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد ، وصب عليه جرة ماء ، وألبسه جُبَّة صوف ، وكان كثير بن المطلب بن أبي وداعة يجالس سعيد بن المسيب ، ففقده أيامًا ، فلما جاءه قال : أين كنت ؟ قال : تُوفيت أهلي فانشغلت بها ، فقال : ألا أخبرتنا فشهدناها ، ثم قال : هل استحدثت امرأة ؟ قال : يرحمك الله ! ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ قال : أنا . قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، ثم تحمد وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوّجه على درهمين أو ثلاثة . قال كثير : فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي ، وجعلت أتفكر فيمن أستدين ؟ فصليت المغرب ورجعت إلى منزلي ، وكنت وحدي صائمًا ، فقدّمت عشاءً أفطر ، وكان خبزًا وزيتًا ، فإذا بابي يُقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد ، فأفكرت في كل من اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فخرجت ، فإذا سعيد ، فظننت أنه قد بدا له ؛ يعني أن يرجع ، فقلت : يا أبا محمد ، ألا أرسلت إليّ فآتيك ؟ قال : لا ، أنت أحق أن تُؤتى ، إنك كنت رجلاً عزبًا فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذ بيدها ، فدفعها وردّ الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي تراه ، ثم صعدت إلى السطح ، فرميت الجيران، فجاءوني فقالوا : ما شأنك ؟ فأخبرتهم ، ونزلوا إليها ، وبلغ أمي فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثًا ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل الناس ، وأحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وأعرفهم بحق زوج ، فمكثت شهرًا لا آتي سعيد بن المسيب ، ثم أتيته وهو في حلقته فسلمت ، فردّ عليّ السلام ، ولم يكلمني حتى تقوّض المجلس ، فلما يبق غيري ، قال : ما حال ذلك الإنسان ؟ قلت : خيرٌ يا أبا محمد ، على ما يحب الصديق ويكره العدو ، قال : إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي ، فوجه إليّ بعشرين ألف درهم(٩) .

اللّه أكبر !! ابن المسيب يرفض أن يزوج ابنته لولي العهد ابن أمير المؤمنين ، ويزوجها لرجل من فقراء المسلمين ، ولو زوجها لابن الخليفة لوزنها ذهبًا ، وأخدمها ، ووسع عليها توسعة الأمراء ، ولكن ما لابن المسيب والغنى ، وما له والترف ، وما له والقصور ، لقد خاف على ابنته من الترف أن يُفسدها ، ومن نعيم القصور أن ينسيها ظلمة القبور .

ثم ماذا ؟ إن رابك شيء فالعصا ، بخلاف ما عليه الآباء والأمهات اليوم من وصيتهم لبناتهم : إن رفع يده عليك اتركي له الدار وتعالي !!

ثم ماذا ؟ أبو الزوجة يرسل لزوج ابنته بعشرين ألف درهم !!

اللّه أكبر !! ما هذه الأخلاق ؟! وما هذه الآداب ؟ وما هذا الكرم ؟! ألا ما أحوج المسلمين إلى قراءة سيرة سلفهم ليقتدوا بهم في أخلاقهم وآدابهم .

فيا معشر المسلمين : إن الإسلام دين اليسر والسماحة والتخفيف ورفع الحرج ودفع المشقة ، فهل لنا أن نيسر لشبابنا أمر الزواج ، وأن نفتح لهم بابه ، ذلك الباب الذي لا يكاد أحد يفتحه إلا بكسر !!

إن المغالاة في المهور مشكلة من مشكلات العصر التي تواجه الشباب ، فالشاب يتخرج من الجامعة ابن اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سنة ، فلا يتزوج إلا بعد أن يقضي عشر سنين في السفر المتصل هنا وهناك طمعًا في توفير المبلغ المطلوب منه لدفعه مهرًا لفتاة أحلامه ، فلا يكاد الشاب أن يتزوج إلا وهو في سن الخامسة والثلاثين ، وربما بلغ الأربعين ، وهذا بدوره أودى إلى كثرة العوانس ، وفي هذا الأمر ما فيه من المخاطر والمفاسد ، فإن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز في الإنسان ، وهي في فترة الشباب في عنفوان قوتها ، فإذا نحن لم نفتح للشباب أبواب الزواج الشرعي الذي جعله اللّه طريقًا لقضاء الوطر وإكثار النسل لاستمرار الحياة ، فإنه قد تكثر الفواحش ، ويكثر الأبناء غير الشرعيين ، فاتقوا اللّه عباد اللّه في أبنائكم وبناتكم ، ويسروا لهم أمر الزواج ، واعلموا أن السعادة ليست في كثرة المهور وعظمة الجهاز ، وإنما السعادة تنشأ في قلب الزوجين المتآلفين المتحابين اللذين لم يجعلا المادة أساس حياتهما :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

وإن أهنأ عيش هو العيش المعتدل في كل شيء ، وكل عيش مهما خشن أو نعم إذا اعتاده أهله ألفوه وارتاحوا إليه ، والسعادة هي الرضا ، والحر هو الذي يتحرر من كل ما يستطيع الاستغناء عنه ، وذلك هو الغنى بالمعنى الإسلامي والمعنى الإنساني .

* * *

• هذه الملاحظة تراعي التراحم والتآلف ، ولا ينفي ذلك أن الصداق حق ، وأن مهر المثل أصل معمول به ، ويرجع إليه عند التنازع .

(١) صحيح ، رواه أبو داود (٢١٠٣/ ١٥٠- ٦/١٥٢) .

(٢) حسن ، رواه أحمد (٦/٧٧ و٩١) ، وابن حبان (١٢٥٦) ، والبيهقي ، كما في ((الإرواء)) (٦/٣٥٠) .

(٣) صحيح ، رواه مسلم (١٤٢٤/١٠٤٠/٢) .

(٤) صحيح ، رواه أبو داود (٢٠٩٢/١٣٥/ ٦) ، والترمذي (١٢٢/٢٩١/٢) ، والنسائي (٦/١١٧) .

(٥) متفق عليه ، رواه البخاري (٢٦/٥/١٨١/٩) ، ومسلم (١٤٢٥/١٠٤٠/٢) ، وأبو داود (٢٠٩٧/١٤٣/٦) ، والنسائي (٦/١١٣) ، والترمذي (١٢٢١/٢٩٠/٢) .

(٦) صحيح ، رواه أبو داود (٢١٠٣/١٥٠/٦) .

(٧) حسن ، رواه الترمذي (١٧٠٦/١٠٣/٣) ، والنسائي (٦/٦١) ، وابن ماجه (٢٥٨١/٨٤١/٢) .

(٨) صحيح ، رواه النسائي (٦/١١٤) .

(٩) سير أعلام النبلاء (٢٣٣ و٤/٢٣٤) .

جمع القرآن

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

أخرج البخاري في « صحيحه » عن زيد بن ثابت الأنصاري ، رضي الله عنه - وكان ممن يكتب الوحي - قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، وعنده عمر بن الخطاب فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه ، وإني لأرى أن تجمع القرآن ، فقال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ، ورأيت الذي رأى عمر ، قال زيد : وعمر عنده جالس لا يتكلم ، فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت من سورة ((التوبة)) آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى ختم براءة إلى آخرها .

تنبه عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بفضل الله تعالى لما وقع القتل في القراء باليمامة ، فعرض على الصديق جمع القرآن في مصحف واحد ، فدعى أبو بكر زيد بن ثابت فتشاوروا ثلاثتهم حتى استقر الأمر على جمع القرآن في مصحف واحد ، عندئذ جلس عمر وزيد على باب المسجد يسألون الناس عن المكتوب عندهم من القرآن ، فيكتبونه ولا يكتبون شيئًا حتى يأتي صاحبه بشاهدين يشهدان أن ذلك كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أي أن عليه إقرار رب العزة سبحانه ، فكان المكتوب في المصاحف إلى اليوم هو المنقول من ذلك الذي عليه إقرار رب العزة الذي أنزله ، فالقرآن المكتوب في المصاحف موافق للذي عرضه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما موافقان للذي نزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، وهذا أيضًا مطابق لما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، فالحمد لله رب العالمين على كمال الحفظ وتمام الإحكام وشمول البيان .

هذا ، وما جاء في الحديث من قول زيد بن ثابت الأنصاري ، رضي الله عنه : حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى ختم براءة إلى آخرها .

بينما قال زيد بن ثابت الأنصاري أيضًا : لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها عند أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، فألحقناها في سورتها في المصحف ، ففي هذا أمور هامة :

أولاً : أن آية سورة التوبة التي وجدت مع أبي خزيمة الأنصاري كانت وهم يجمعون القرآن في زمن أبي بكر الصديق ؛ أي ومجلس الجمع وطلب الشهود منعقد ، وذلك في العام الثاني عشر للهجرة والصحابة لا يزالون متوافرين ، فهذا يعني أنهم وجدوها مكتوبة عنده ووجدوا من شهد من الشهود أنها كتبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت هي النص الأوحد الذي وجد عند واحد فقط من كتبة الوحي ، وذلك يعني أن كل القرآن وجد عند أكثر من واحد من الصحابة الذين كتبوا القرآن وشهد من الصحابة الشهود أنه كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يُستثن من ذلك إلا آيتان من سورة التوبة ، فكأن كل القرآن توفر فيه شرط الصديق الذي شرطه وهو وجوده مكتوبًا ، وشهادة شاهدين على أنه كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا مع أنه محفوظ في صدور الكثيرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسمعوه منه وتناقلوه عنه .

ثانيًا : أن آية الأحزاب فقدت في الجمع الأول ، فلم تكتب فيه أصلاً ، أو كتبت ثم سقطت من بين صحائفه ، ومع ذلك بقي الصحابة يقرءونها مع قراءتهم للسورة ، وذلك يعني أنهم لم يكونوا يقرءون القرآن من المصحف ، إنما كانوا يقرءونه من المحفوظ ويتلقاه كل واحد منهم من حفظته ، وأن من أراد أن يكتب كتب لنفسه ، ولذا نشأت تلك المصاحف الخاصة التي أمر عثمان فيما بعد بحرقها ؛ لأنها لم تنقل من المكتوب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل آياتها ، وذلك يبين أن الأصل الأول في القرآن النقل بالتلقي والمشافهة ، وذلك شأن القرآن الكريم إلى اليوم وإلى آخر الزمان ، فلا يكون مصدر القرآن أبدًا النقل من المكتوب مهما كان موثوقًا به ، خاصة وأن القرآن لما جمع في جمعه الأول وفي نسخه الذي بعده كان خاليًا من النقط والشكل .

ثالثًا : لما نسخ زيد وأصحابه مصحف أبي بكر في المصاحف في زمان عثمان ، فقد آية سورة الأحزاب ، فالتمسها ، لاحظ أن ذلك كان في العام الخامس والعشرين للهجرة ؛ أي وقد انتهى مجلس الإشهاد ، فوجدت - بحمد الله تعالى - مع خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، وهو غير أبي خزيمة الأنصاري . (فتنبه) .

وسواء كان فقدها بعد أن جمعت في خلافة الصديق ، ثم سقطت منهم فاحتاجوا إلى إعادة كتابتها - وهو الراجح - أم كانت سقطت أصلاً في جمع الصديق ولم تكتب إلا في خلافة عثمان ، مع علمنا أن التلقي كان بالحفظ لا بالكتابة من ذلك المجموع الذي حفظ عند أبي بكر ، ثم عمر ، ثم حفصة ، رضي الله عنهم جميعًا .

فكأن جمع القرآن الذي أشار به عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كان من إلهام الله تعالى له ، وذلك أن وفرة القرآن في صدور الأصحاب كانت تزداد وتنقل إلى التابعين من أول يوم تولى الصديق ، رضي الله عنه ، فيه الخلافة ، حيث أيقظ الصديق ، رضي الله عنه ، الصحابة من هول المصيبة التي أصابتهم ، وكان رأيهم في ذلك أن يموتوا على ما مات عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما تولى الصديق ، رضي الله عنه ، حث الصحابة على البقاء على ذلك الدين بكل ما فيه ، فحملهم على الجهاد وتبليغ الدين وإظهار معالمه وبعث فيهم روح الدعوة لهذا الدين والثبات والجهاد ، لذا فإن أبا هريرة ، رضي الله عنه ، قال : والله لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله ، حتى قالوا في الأمثال : (ردة ولا أبا بكر لها) .

يقول ابن كثير في ((فضائل القرآن)) عند ذكر جمع أبي بكر للقرآن : وهذا من أحسن وأجل ما فعله الصديق ، رضي الله عنه ؛ فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وسلم مقامًا لا ينبغي لأحد من بعده ؛ قاتل الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم ،

ونفذ الجيوش وبعث البعوث والسرايا ، ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقته وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه ، وكان هذا من سر قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] ، فجمع الصديق الخير وكف الشر ، رضي اللّٰه عنه وأرضاه .

ثم ساق حديث علي بن أبي طالب ، رضي اللّٰه عنه : ((أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين)) . انتهى .

أعني أن القرآن نقل من يوم نزوله بطريقين : الكتابة ، والأداء ، فتنبه عمر لما حدث في طريق الأداء عند قتل كثير من الحفاظ من الصحابة ، فأشار على الصديق ، رضي اللّٰه عنه ، بجمع المكتوب في مصحف واحد ، فكان ذلك الإلهام من فضل اللّٰه حفظًا لكتابه ؛ لأنه القائل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، فإن اللّٰه سبحانه الذي تولى حفظ القرآن جعل الحفظ والكتابة من أهم عوامل حفظه ، فإذا فتر أحدهما قوّى اللّٰه الآخر .

فانظر إلى الحافظة عند العرب كانت قوية ، والكتابة ضعيفة ، فقوى اللّٰه سبحانه الكتابة ، بتقوية وسائلها رويدًا رويدًا من أقلام وأوراق وأحبار وطباعة ، ثم قوى الحافظة ، حيث أظهر الحافظة الصناعية في المسجلات وغيرها ، فالحافظ هو اللّٰه سبحانه الذي تولى حفظ القرآن وجعل له وسائل كثيرة : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [النحل : ٨] .

وكان بداية ذلك كله إلهام اللّٰه تعالى لعمر فيما أشار به على الصديق ، رضي اللّٰه عنه؛ وتصديق ذلك في ((صحيح البخاري)) من حديث أبي هريرة ، رضي اللّٰه عنه ، أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : ((إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحدَّثون ، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب)) ، فكان هذا من الإلهام المبكر الذي أُلهم به عمر دون غيره من الصحابة .

ولهذا فإن أبا بكر امتنع أولاً ، ثم راجعه عمر ، حتى تبين من المراجعة وبسط الحجج أن ذلك هو الصواب لنعلم أن الصحابة ، رضوان اللّٰه عليهم ، قد أقام اللّٰه بهم الدين ، فاجتهدوا ليوافقوا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في كل شيء ، فالرسول صلى اللّٰه عليه وسلم أمر بالقرآن فكتب مفرقًا في الرقاع والعسب وغيرها ، ولكن يمنع كتابته في مصحف واحد أنه ينزل منجمًا ، وأن النسخ يأتي على بعض آيات منه ، فلا يصلح الجمع إلا بعد التمام بانقطاع الوحي ، ولا يكون ذلك إلا بعد موته صلى اللّٰه عليه وسلم .

ومن فضل اللّٰه أن كان إلهام ذلك لعمر ، رضي اللّٰه عنه ، ولو كان الإلهام لأبي بكر لصار أمرًا من الخليفة ، فيطاع بغير حوار ، فلا يظهر اجتهاد الصحابة وسعيهم لموافقة ما كان عليه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، ذلك الاجتهاد الذي يشعر كل مسلم بعد ذلك أن الصحابة اجتهدوا ليوافقوا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في كل شيء مهما كان ظهوره وجلاؤه .

وتدبر فإن جمع القرآن في مصحف واحد أشار القرآن والسنة إليه بذكره في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة : ٢] ، ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند اللّٰه ﴾ [البقرة : ٨٩] ، ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، ﴿ اللّٰه نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] ، ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ [آل عمران : ٣] في عشرات من الآيات ، وجاء في الأحاديث (النهي عن السفر بالمصحف إلى بلاد العدو) ، فهذه النصوص الكثيرة صارت كالأمر من اللّٰه للأمة بجمع القرآن في مصحف واحد ليصير كتابًا بالمعنى الكامل ، فتأمل تلك النصوص يظهر لك أن الصحابة ، رضوان اللّٰه عليهم اجتهدوا في فهمها ، والعمل بها ، فحفظ اللّٰه بهم الإسلام ، وحماهم من البدع والمحدثات ، والحمد للّٰه رب العالمين .

يقول القرطبي : ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعلي وتميم الداري وعبادة بن الصامت ، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص ، ثم قال : وقد تظاهرت الروايات أن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن - أي حفظوه في صدورهم - على عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم لأجل سبقهم إلى الإسلام وإعظام الرسول صلى اللّه عليه وسلم لهم . (انتهى) .

وفي حديث أنس إثبات جمع القرآن لأربعة من الأنصار هم ؛ أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد - واسمه سعد بن عُبيد - والمقصود أن حفاظ القرآن كثير ، لكن لأن بعض آياته حديثة عهد بالنزول ، فقد أتم حفظه بعد وفاة النبي صلى اللّه عليه وسلم الكثير ؛ لأن بعض هذا لم يبلغهم ؛ لأنه نزل قبيل وفاته ، ولعله كان في سفر أو شغل ، فلما حضر أو فرغ حفظ ، لكن المتيقن منه أن كل القرآن مع كل الأصحاب كل آية منه مع جمع غفير في تواتر مستفيض ، فضلاً عن كتابتها في الرقاع التي نقلت منها المصاحف ، خاصة ما قبل العرضة الأخيرة ، وما بعدها اجتهدوا في وضعه ، فوضعوه في الموضع الذي رأوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وضعه فيه ، لذلك لم يكن يحدث خلاف بين الصحابة في ذلك ، وكل خلاف ظهر سرعان ما اختفى لاقتناع أصحابه ، بعد مشاورة ومراجعة ليوافقوا ما كان عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وإنما بقي ذكر ذلك وحكايته لبيان اجتهاد الصحابة في ذلك ، ليثبت لنا بذلك أن ترتيب القرآن وسوره توقيفي أطلع جبريل عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم والأدلة على ذلك كثيرة جدًا مبسوطة في مكانها من علوم القرآن ، وفي عرضات جبريل خاصة العرضة الأخيرة الكفاية في ذلك والحمد للّه رب العالمين .

فالقرآن الكريم جمع في خلافة أبي بكر الصديق ، رضي اللّه عنه ، والصحابة متوافرون في مصحف واحد ، ثم نُسخ في خلافة عثمان ، رضي اللّه عنه ، والصحابة يشهدون ذلك ؛ فضلاً عن أن عثمان ، رضي اللّه عنه ، أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، وإنما فعل ذلك عثمان ؛ لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان ، ونقل القرآن عنهم فقرأ كل قوم بالحرف الذي سمعوه من الصحابي الذي علَّمهم ، فلما التقوا في غزوة أرمينية قرأت كل طائفة بما روي لها ، وذلك لأن المسلمين رأوا حياتهم في القرآن ونصرهم في عبادة ربهم بالصلاة والتهجد ، فكانوا بالليل رهبانًا وبالنهار فرسانًا ، فلما ظهرت قراءتهم للقرآن وقد تجمعوا من أمصار مختلفة كل تلقى من حرف الصحابي الذي أقرأهم ، اختلفوا وتنازعوا ، فأشفق حذيفة مما رأى منهم ، فقدم المدينة ودخل على عثمان قبل أن يدخل إلى بيته ، فقال له : أدرك الأمة قبل أن تهلك ، قال : فيما ذا ؟ قال : في كتاب اللّه ، ثم قال : إني حضرت هذه الغزوة ، وقد جمعت ناسًا من العراق والشام والحجاز ، فوصف الحال التي كانوا عليها من التنازع في القراءة ، ثم قال : إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتاب اللّه كما اختلف اليهود والنصارى .

وينبغي لنا أن نتدبر كيف أن اللّه أظهر هذا النزاع المبكر وألهم الصحابة ألا يسكتوا عليه حتى يجمعوا الناس على رسم واحد للمصحف ويقرءوا بكل حرف وافقه ويستمر الأمر معهم ، فلا يبقى من الأحرف إلا ما وافق ذلك الرسم ، والحمد للّه تعالى على ذلك الخير العميم .

أيها القارئ الكريم : نكتفي بهذه الإشارة حول جمع القرآن ، وسوف يصدر هذا البحث - إن شاء اللّه تعالى - في رسالة خاصة ، ونلفت الانتباه إلى أن سؤالاً بهذا العدد يتعلق بالموضوع فاحرص عليه .

وكتبه محمد صفوت نور الدين

موضوع العدد

هل الفكر بضاعة

بقلم د / محمد بن سعد الشويعر

رئيس تحرير مجلة البحوث ومستشار مكتب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية

سؤال يطرح نفسه ، ويريد جوابًا يقنع أولئك السائرين بدون هدف ولا روية ، إلا على مقالة : سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته .

ونحن في هذه الأزمان نرى ونسمع كلامًا كثيرًا عن الفكر ، ومنابع الفكر ، وما يراه زيد في فكر عبيد ، ولهذا أعوان ولذاك ناشرون ، وكل فئة تجهّل الأخرى ، وتنتقد فكرها ، وتراها ليست على شيء ، كما أخبر اللّه عن أهل الكتاب بعدما تباعدوا عن فهم كتبهم ، وما جاءتهم به رسل اللّه . يقول سبحانه : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ﴾ [البقرة : ١١٣] . فأخبر اللّه عن ضلالهم لابتعادهم عن منهج اللّه ، الذي اختاره لعباده .

ولذا نرى الشباب المتطلع إلى الفهم الصحيح ، والذين هم أمانة في أعناق الأمة عمومًا ، بالتوجيه الحسن والرعاية ، وأخص علماءها ومفكريها ؛ لأن بيدهم مقود الأمان ، هؤلاء الشباب نراهم حائرين ومتذبذبين بين الأفكار المتصارعة ، ووجهات النظر المتباينة ، وضائق بين حماسة كل فئة لفكر منظريها ، وبين المتزعمين لوجهات نظر في الفكر وافدة وراءها غايات ومآرب خفية ، تتوارى وراء هذا الفرد الذي يردد صداه أتباعه بدون روية ولا فهم ، وقد يكون مغلّفًا بكلمات لينة في ملمسها ، كما روي عن علي بن أبي طالب ، رضي اللّه عنه ، في مثل هذا الوضع إجابة لسائل تساءل عما يراه علي في دعوة أولئك ، فقال : كلمة حق أريد بها باطل .

ولذا فإن المتعقب يلمس التعصب المقيت عن غير فهم ، وتصحيح مزاعم من ينعق له بدون روية كما يقال في المثل : عنز ولو طارت .

وأخطر تلك الأفكار ما له تعلق بكيان الأمة واستقرارها ؛ من دين به قوام الحياة الدنيا والآخرة ، أو فرع من فروع أعمال الناس فيها :

بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور » . رواه أحمد في مسنده .

وكتاب الله جل وعلا أعطانا فائدة عظيمة ، يجب إدراكها : بأن أمور حياتنا مهما صغرت لم تكن منسية ، بل أرشدنا المصدر التشريعي إلى حياتنا المستقرة ، وأن كل شيء يهمنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا ، قد أوضحه الله بقوله سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، ويقول عز وجل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ [النحل : ٨٩] .

وما خفي على الفرد علمه فإنه مأمور بسؤال العلماء المدركين ، لا العلماء المضللين الذي يفتون بغير ما أنزل الله ، وحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ؛ لأنهم يضلون ويُضلون ، يقول سبحانه : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [الأنبياء : ٧] ، ويخبر سبحانه عن صفة هؤلاء العلماء ، الذين يجب سؤالهم بقوله الكريم : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] ، والمراد الخشية الحقيقية ، وهي مراقبته سبحانه في السر والعلن ، وامتثال أمره واجتناب نهيه .

وإذا سلمنا أن الماديات من علوم وصناعات وغيرها من البضائع تستورد من أمم سبقتنا في هذا المضمار ، فإنه مباح لنا الاستفادة من أمور لم تكن محرمة في ديننا ، لكن المحرم هو أن نستورد منهم فكرًا يخالف فكرنا وديننا ، ذلك أن فكرنا المستمد من تعاليم ديننا ثابت وراسخ ، ويجب علينا أن ندعوهم إليه : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، أما فكرهم فيدور في حلقة الماديات والمطامع ، والإفساد ، وقد أخبر الله عن أصحاب الماديات بقوله الكريم : ﴿ يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [الروم : ٧] ، فمثل هؤلاء لا نأخذ من فكرهم إلا ما يدور في حلقة علمهم بما نحتاجه ، ونستبعد غيره لما لدينا من تحذير منه ؛ بالتحريم أو بمدخل في المداخل الموصلة إلى المساس بديننا وتقاليدنا ؛ لأن القاعدة الأصولية : أن كل ما يتوصل به إلى المحرم فهو حرام ، وقاعدة سدَ الذرائع مأمور بها المسلم ، حتى لا ينفتح الباب المفضي إلى الأمور المحرمة ، أو الداعية إلى الفساد والإفساد ؛ لأن الإسلام إنما ينقض عروة عروة ، والتساهل في الصغائر يجر إلى الكبائر ، كما جاء في الحديث الصحيح : « إياكم ومحقرات الذنوب » .

ولذا فإن تبني الأفكار كهذه الوافدة من وراء الحدود ، مهما كان غلافها ودعوة أصحابها ، الذي من أبرز ما فيها : إشاعة التكفير ، وتجهيل العلماء ، والخروج على ولاة الأمور ، وغير ذلك ، ثم الاهتمام بها في المجتمع الإسلامي ، أمر يجب رفضه ، وينبغي ردها لأصحابها بإبانة أخطائها ، إذ لو كانت خيرًا لحققت لأصحابها فوائد ، ولكنها فتات أفكار ملّها المتصارعون فأزاحوها عن موائدهم ، وذبذبات فكرية مستمدة من أقوال بشرية يناقض بعضها بعضًا ، وقد حذرنا الله عن مثل هذا الأمر الذي يجب نبذه

الله سبحانه : عقيدة وعملاً ، ونية وإخلاصًا ، ويترتب عليها جزاء من الله عاجل وآجل ، وهي لمصلحة الفرد وتكامل المجتمع ، وتماسكه بالوحدة خلف قيادته سمعًا وطاعة ، ويحاط ذلك بفكر سليم ، وفقه عميق .

ومن هنا فإن الذي يجب معرفته أن الفكر ليس بضاعة تجارية ، ولا منافسة اقتصادية ، حتى يحسن بعضها بعضًا ، وحتى يدافع أحدهم عن فكر يتعلق به ويتحمس له ؛ لأنه وافد في مصدره ، وحسب نظرهم القاصر : أن كل وافد مرغوب فيه ، وأن الفكر المحلي - يجب نبذه والزهادة فيه - حتى ولو كان مستمدًا من الرأي الشرعي ، عن الله سبحانه ، وعن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهما المصدران الأساسيان للتشريع في الإسلام .

ورغم أن هذا الفكر قريب التناول ، ومن يتمسك به ويدافع عنه ما هم إلا علماء وقادة ، نبعوا من هذه البيئة ، وأدركوا واجبهم نحو خالقهم وما أمرهم به ، ولم يتبعوا أيًا من الأفكار العديدة المتصارعة على وجه الأرض ، بل صمدوا في وجه تيارها حمية لله ، ودفاعًا عن دينه ، فجاء من يحمل فكرًا وافدًا لمآرب وغايات ليطمس الحق ، ويلبسه الباطل ، ولكن الله متمّ نوره ، ظانين أن الفكر عندما يغلف يمكن الاختفاء به كالبضاعة ، وإذا كان العقل البشري والرغبات الشخصية للناس في مساكنهم ومراكبهم ، وشتى أنواع استعمالاتهم يقبلون متابعة كل جديد من المخترعات والمصنوعات مهما كانت ، فلأن المهتمين بها يريدون مكسبًا ماديًا تزيد به بضاعتهم ، وتنمو مصانعهم وشركاتهم ، فإنه يحق لهم بذلك أن يجددوا ، بل أخضعوا جزءًا كبيرًا من مواردهم لهذا الغرض ، فكرًا وعملاً ، رغبة في السيطرة على أذهان المنهكين ، وابتزاز أكبر قدر من مواردهم ، ومنافسة لمن يشابههم في الصنعة ، لكن الفكر لا يخضع لهذه المقاييس والمزايدات ؛ لأن ما يشتمل عليه هذا الفكر من حرص على تبني الوافد ، يجب تمحيصه وعرضه على الفكر السليم ، لغربلته وإدراك مساوئه ، حيث إن للمسلم منطلقًا في كل أمر من أمور حياته ، يرشده لما هو صحيح ، ويباعده عن كل ما لا خير فيه ، فينظر في هذا الفكر ، كما ينظر في البضاعة ، فيأخذ بالسليم ، وينفي السقيم .

والأفكار الوافدة ، وإن كان ملمسها لينًا ، فإنها ذات أهداف عديدة : قريبة وبعيدة ، ولذا يجب نبذها والعودة إلى المحك الذي توزن به الأمور في عقيدة المسلم ، كما أخبر صلى الله عليه وسلم في وصيته لأمته ، عندما طلب منه الصحابة الوصية ، فقال : « عليكم بالسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، وقد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » . وأمر صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وفي حديث العرباض بن سارية ، الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا

بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور)) . رواه أحمد في مسنده .

وكتاب الله جل وعلا أعطانا فائدة عظيمة ، يجب إدراكها : بأن أمور حياتنا مهما صغرت لم تكن منسية ، بل أرشدنا المصدر التشريعي إلى حياتنا المستقرة ، وأن كل شيء يهمنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا ، قد أوضحه الله بقوله سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، ويقول عز وجل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء ﴾ [النحل : ٨٩] .

وما خفي على الفرد علمه فإنه مأمور بسؤال العلماء المدركين ، لا العلماء المضللين الذي يفتون بغير ما أنزل الله ، وحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ؛ لأنهم يَضلون ويُضلون ، يقول سبحانه : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [الأنبياء : ٧] ، ويخبر سبحانه عن صفة هؤلاء العلماء ، الذين يجب سؤالهم بقوله الكريم : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] ، والمراد الخشية الحقيقية ، وهي مراقبته سبحانه في السر والعلن ، وامتثال أمره واجتناب نهيه .

وإذا سلمنا أن الماديات من علوم وصناعات وغيرها من البضائع تستورد من أمم سبقتنا في هذا المضمار ، فإنه مباح لنا الاستفادة من أمور لم تكن محرمة في ديننا ، لكن المحرم هو أن نستورد منهم فكرًا يخالف فكرنا وديننا ، ذلك أن فكرنا المستمد من تعاليم ديننا ثابت وراسخ ، ويجب علينا أن ندعوهم إليه : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، أما فكرهم فيدور في حلقة الماديات والمطامع ، والإفساد ، وقد أخبر الله عن أصحاب الماديات بقوله الكريم : ﴿ يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [الروم : ٧] ، فمثل هؤلاء لا نأخذ من فكرهم إلا ما يدور في حلقة علمهم بما نحتاجه ، ونستبعد غيره لما لدينا من تحذير منه ؛ بالتحريم أو بمدخل في المداخل الموصلة إلى المساس بديننا وتقاليدنا ؛ لأن القاعدة الأصولية : أن كل ما يتوصل به إلى المحرم فهو حرام ، وقاعدة سدّ الذرائع مأمور بها المسلم ، حتى لا ينفتح الباب المفضي إلى الأمور المحرمة ، أو الداعية إلى الفساد والإفساد ؛ لأن الإسلام إنما ينقض عروة عروة ، والتساهل في الصغائر يجر إلى الكبائر ، كما جاء في الحديث الصحيح : ((إياكم ومحقرات الذنوب)) .

ولذا فإن تبني الأفكار كهذه الوافدة من وراء الحدود ، مهما كان غلافها ودعوة أصحابها ، الذي من أبرز ما فيها : إشاعة التكفير ، وتجهيل العلماء ، والخروج على ولاة الأمور ، وغير ذلك ، ثم الاهتمام بها في المجتمع الإسلامي ، أمر يجب رفضه ، وينبغي ردها لأصحابها بإبانة أخطائها ، إذ لو كانت خيرًا لحققت لأصحابها فوائد ، ولكنها فتات أفكار ملّها المتصارعون فأزاحوها عن موائدهم ، وذبذبات فكرية مستمدة من أقوال بشرية يناقض بعضها بعضًا ، وقد أخبر الله عن مثل هذا الأمر الذي يجب نبذه

بقوله الكريم : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

وما ذلك إلا أن فكر الإسلام لا يخضع للمزايدات ولا للمساومات ، ويناهض الكذب والمخادعة ، فهو يقرن طاعة الله بطاعة رسوله الكريم ، وطاعة ولاة الأمور ، ويأمر بالسمع والطاعة لهم في المنشط والمكره ، وطاعة الله تعني الامتثال لأمره سبحانه ، واجتناب ما نهى عنه بصريح القول في القرآن الكريم ، أو بفهم العلماء المعتبرين وأصحاب الأهواء والغايات .

وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التمسك بسنته الصحيحة الثابتة ؛ القولية والفعلية والتقريرية ، والحرص على ذلك قولاً وعملاً ، أما طاعة ولاة الأمور من العلماء والحكام ففيما لا يتعارض مع أمر الله ، وأمر رسوله : « أطيعوهم ما أطاعوا الله فيكم » . و« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . ومعاداة من يعاديهم : « من جاءكم وأمركم بينكم جميع يريد تفريق كلمتكم ، فاضربوا عنقه كائنًا من كان » . رواه مسلم .

فالصحابة ، رضوان الله عليهم ، ومعهم كبار التابعين قد رأوا من بعض أمراء بني أمية أمورًا أنكروها ، ولكنهم لم يخرجوا عليهم ، ولم يكفروهم ولم يدعوا لنقض بيعتهم والخروج عليهم ، ولنا فيهم أسوة حسنة ، بفهمهم وبعد نظرهم .

وما ذلك إلا أن الفكر السليم هو المستمد من توجيه القرآن الكريم بالدعوة إلى التفكر والتعبد والتأمل ؛ لأنه فكر مرتبط بالوجدان ، ومسيّر لحسن العبادة لله ، وموضح لما قد يخفى من الأمور المرسخة للعلاقة بالله سبحانه ، وليست تعصبًا لفرد من البشر ، أو تحمسًا لدعوة حزبية مقيتة . والله الموفق .

تعريف العدد

صدر العدد (٩٠) لعام ١٤١٨ هـ من مجلة الجندي المسلم ، وهي مجلة إسلامية ثقافية عسكرية فصلية تصدرها الشئون الدينية للقوات المسلحة .

واحتوى العدد على كلمة توجيهية لفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين في الوفاء بالعقود وأداء الأمانة .

كما يشتمل على مقالاتٍ وفتاوى تتعلق بالحج وأحكامه وبعض قرارات المجمع الفقهي الهامة .

كما احتوى العدد على الرسالة التي وجهها أمين عام رابطة العالم الإسلامي إلى الكونجرس الأمريكي بشأن عروبة مدينة القدس .

وغير ذلك من المقالات المفيدة ، وللمجلة اهتمامٌ خاص بشئون المسلمين في جميع أنحاء العالم ، وبيان مكائد أعداء الإسلام وفضح مخططاتهم ، والمجلة جديرة بالاطلاع .

التصوف وعلاقته بتدهور العالم الإسلامي

نشأت اللغة العربية وليس فيها كلمة تصوف ، ولا ما اشتق منها قبل الإسلام بعشرات الآلاف من السنين حتى بُعث محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم تدخلها كلمة صوفي ولا تصوف ، ونزل القرآن الكريم حتى كمل ، ولم تأت كلمة صوفي ولا ما اشتق منها ، كما لم تأت هذه الكلمة في الحديث الشريف .

هذا التصوف الذي يفرض نفسه الآن على بلاد العالم الإسلامي وعلى المسلمين لم يكن له وجود في هذه البلاد الإسلامية من قبل أن يدخلها الإسلام ، ولا في الجزيرة العربية لا قبل الإسلام ، ولا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين ، وأدخل المثقفون من أبناء الفرس بعد دخولهم الإسلام من أجل الكيد له ، هذه الكلمات مع ما تحمله من فلسفات ذات اتجاهات مختلفة في الله والوجود وخلق الكون والتعبد لله على الطريقة اليونانية بغرض بث التفرقة بين المسلمين وادخال لعقائد إلحادية على عقائد المسلمين ؛ لأنهم كانوا يرون أنه إذا فسدت عقائد المسلمين فإنهم سيسقطون على الفور ويعود لهم مجد كسرى وغطرسته ، ولكن الخلفاء العباسيين كانوا يكشفون مساعيهم هذه ، فكانوا يقضون على حركتهم وعلى من يدبرونها ومن يقومون بتنفيذها ، فلجأوا إلى المظهر التعبدي إسلاميًا ، لكنه فلسفي يوناني ذا رداء مجوسي في داخله وباطنه وعمله وهدفه ، ووجدوا كلمة صوفي أمامهم في هذه الفلسفة اليونانية فاطلقوها على أنفسهم ، وكان ذلك في أواخر القرن الثاني الهجري ، وبدأ هذا التصوف يشيع بشكله ومضمونه من ذلك التاريخ ، وشاع أمرهم أولاً في بلاد فارس وبغداد ومنطقة العراق ، ثم أخذ ينتقل إلى بقية بلاد الخلافة الإسلامية فاستهجنهم الناس واعترضوا على أساليبهم وطرقهم هذه في العبادة ، وأحيانًا كانوا يبوحون بعقائدهم ، كما حصل من الحلاج وأبو يزيد البسطامي والسهروردي الحلبي فيعرفهم المسلمون وحكام المسلمين فيأخذونهم للمحاكمة فيثبت عليهم الإلحاد من قولهم : أنا الله ((أي اتحد به الله)) ، أو حل فيه حسب مذاهب كل طائفة منهم ، ومثل قولهم : إن النبوة لم تختم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإنها بعده مستمرة إلى يوم القيامة ، إن كان عندهم اعتراف بيوم القيامة كما حصل من ابن عربي والسهروردي الحلبي الذي باح به صراحة ، وكان نصيبه القتل على يد السلطان ((العادل)) حاكم الشام ابن صلاح الدين الأيوبي بعد استشارة والده صلاح الدين الأيوبي في ذلك .

وهكذا نجد أن هذه الاتجاهات الإلحادية تبطن دعوتهم واتجاهاتهم الصوفية التي يتظاهرون بأنها عبادة إسلامية ولكنها لم تكن تأخذ هذا الطابع الإسلامي كاملاً ، بل تشوبه كثير من التشوهات التي يدخلونها عليه باسم الإسلام ، كي يظل لهم الواقع الإلحادي مبطنًا لدعوتهم التصوفية وساترًا بهدفهم السياسي إلى قلب نظام الدولة الإسلامية وإقامة دولة المجوس .

أ . د . إبراهيم هلال

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها :
فضيلة الشيخ :
أبي إسحاق الحويني

● يسأل القارئ : وجدي بسيوني - مركز الرياض - محافظة كفر الشيخ ، فيقول : إنه سمع بعض الخطباء يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم نصر بالرعب على عدوه مسيرة شهرين ، والذي أعلمه أنه شهر واحد ، فهل ورد هذا اللفظ ، وهل هو صحيح ؟

● والجواب بحول الملك الوهاب : أن هذا الحديث بهذا اللفظ قد ورد ؛ وهناك فرق بين الورود والثبوت كما لا يخفى ، فليس كل واردٍ ثابتًا ، **والحديث منكرٌ بهذا اللفظ**. وقد ورد عن ثلاثةٍ من الصحابة ، وهم : أبو هريرة ، وابن عباس ، والسائب بن يزيد ، رضي الله عنهم .

أما حديث أبي هريرة فقال : كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه ، وساق حديثًا ، وفي آخره : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنكرتم من صلاتي الليلة شيئًا ؟ » قلنا : نعم ، سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة ظننا أن قد قبضت فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أُعطيتُ فيه خمسًا لم يعطهن نبيٌّ قبلي : بعثت إلى الناس كافة ؛ أحمرهم وأسودهم ، وكان النبي قبلي يبعث إلى أهل بيته أو إلى قريته ، ونصرت على عدوي بالرعب مسيرة شهرٍ أمامي وشهر خلفي .. » . وساق حديثًا .

أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٢/٢٦، ٢٧) ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل قال : حدثنا المقري ، قال : حدثنا عبد الجبار بن عمر الأبلي قال : حدثنا خازم بن خزيمة - من تيم الرباب - عن مجاهدٍ ، عن أبي هريرة به .

قال العقيلي : (خازم بن خزيمة يخالف في حديثه) . وأورد له هذا الحديث مستنكرًا إياه .

وأمَّا حديث ابن عباس : فأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (ج١١/ رقم ١١٠٥٦) ، قال : حدثنا محمد بن عبد اللّه الحضرمي ، ثنا عبد الرحمن بن الفضل بن موفق ، ثنا أبي ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عباس قال : نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهرين على عدوه .

قال الهيثميُّ في « مجمع الزوائد » (٨/٢٥٩) : (فيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، وهو ضعيفٌ) .

قُلْتُ : والفضل بن موفق ذكره ابنُ حبان في « الثقات » (٩/٦) ،

وترجمه ابنُ أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٦٨/٢/٣) ، وقال : (سألت أبي عنه فقال : ضعيفُ الحديث ، كان شيخًا صالحًا قرابةً لابن عيينة ، وكان يروي أحاديث موضوعة) . ولخص الحافظ حاله فقال في « التقريب » : (فيه ضعف) . كذا قال ! وكان ينبغي أن يجزم بضعفه أو وهائه ، فمع هذا الجرح المفسر فالتوثيق فيه لينٌ . وابنه عبد الرحمن بن الفضل ذكره ابن حبان في « الثقات » (٣٨٢/٨) ، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر أقرب إلى الوهاء . فالسند ضعيف جدًا .

وأمّا حديث السائب بن يزيد ، رضي الله عنه : فأخرجه الطبرانيُّ في « الكبير » (ج٧/ رقم ٦٦٧٤) ، قال : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، ثنا هشام بن عمار ، ثنا يحيى بن حمزة ، ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن يزيد بن خصيفة ، أنه أخبره عن السائب بن يزيد مرفوعًا : « فضّلت على الأنبياء بخمسٍ : بُعثت إلى الناس كافةً ، وادخرت شفاعتي لأمتي ، ونُصرت بالرُّعب شهرًا أمامي وشهرًا خلفي ، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي » . وسنده ضعيف جدًّا ، وابن أبي فروة متروك الحديث . وكذبه بعض النقاد مثل يحيى بن معين في رواية ، وعبد الرحمن بن خراش .

● ويسأل القارئ : علي محمود حسانين - مركز ببا - بني سويف :
عن صحة حديث : « إن الفقر كفر » ؟

● والجواب : **أنني لم أقف عليه بهذا اللفظ** ؛ ولكن أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥٣/٣ ، ١٠٩ و٢٥٣/٨) ، ومن طريقه ابنُ الجوزي في « الواهيات » (٣٢٠/٢) من طريق أبي عاصم النبيل ويوسف بن أسباط ، والبيهقيُّ في « الشعب » (ج٥/ رقم ٦٦١٢) من طريق محمد بن يوسف الفريابي ، والعقيلي في « الضعفاء » (٢٠٦/٤) من طريق أبي عاصم ثلاثتهم عن سفيان الثوري ، عن حجاج بن فرافصة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنسٍ مرفوعًا : « كاد الفقر أن يكون كفرًا ، وكاد الحسد أن يغلب القدر » . وخالفهم النعمان بن عبد السلام الأصبهاني ، فرواه عن الثوري ، عن حجاج بن أرطاة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنسٍ مثله ، فجعل شيخ الثوري « ابن أرطاة » بدل « ابن فرافصة » . أخرجه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٢٩٠/١) من طريق حماد بن زيد المكتب ، ثنا النعمان ، والنعمان هو أرفع من روى عن الثوري من أهل أصبهان .

وقال الحاكم : ثقةٌ مأمون ، وقال أبو حاتم : (محله الصدق) ، وحماد بن زيد المكتب قال أبو نعيم : (كان من أفاضل الناس) . ولم يذكره بحفظٍ . والحديث معلٌّ على كل حال .

وأخرجه أحمد بن منيع في « مسنده » - كما في « المطالب العالية » (ق٩٠/١) - قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ، عن الحسن ، أو عن أنس ، فذكره مرفوعًا هكذا رواه على الشك . وسنده ضعيفٌ جدًّا . ويزيد الرقاشي متروك .

وقال ابن الجوزي : (هذا حديثٌ لا يصحُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزيد الرقاشي لا يعول على ما يروي ، قال شعبة : لأن أزني أحب إليّ من أن أروي عن يزيد الرقاشي) .

ورواه معمر بن زائدة ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا فذكره . فخالف معمر بن زائدة يحيى بن سعيد في إسناده ، وأعلّ العقيلي حديث عمر بمعمر بن زائدة ، وقال : (لا يتابع على حديثه) .

ورواه يحيى بن يمان ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس مرفوعًا فذكره .

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٦٩٢/٧) ، وقال : (وهذا عن الثوري يرويه ابن يمان) ، وهو يشير إلى تفرده عن الثوري بروايته عن الأعمش . وقد علمت أن ثلاثة من أصحاب الثوري رووه عنه ، عن حجاج بن فرافصة ، ويحيى بن يمان يضعّف .

وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢٥٤/١) من طريق المعتمر بن سليمان قال : حدثنا حسين أبو المنذر ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس مرفوعًا مثله وعنده : «كادت الفاقة» .

ونقل العقيلي عن البخاري قال : (حسين أبو المنذر ، عن الرقاشي ، سمع منه معتمر ، ولم تصح روايته) . ثم قال العقيلي : (لا يتابع عليه إلا من طريق تقاربه) . يعني : في الضعف .

وبالجملة فهذا الوجه معلٌّ ، وآفته يزيد الرقاشي ، لكنه لم يتفرد به ، فتابعه سليمان التيمي وهو ثقة ، فرواه عن أنس ، رضي الله عنه ، مرفوعًا : «كاد الحسد يسبق القدر ، وكادت الحاجة تكون كفرًا» .

أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٤٤) قال : حدثنا علي - وهو ابن سعيد - قال : حدثني أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الحميد الكاتب ، قال : حدثني عمرو بن عثمان الكلابي ، قال : نا عيسى بن يونس ، عن سليمان التيمي به . قال الطبراني : (لم يرو هذا الحديث عن سليمان ، إلا عيسى ، ولا عن عيسى إلا عمرو بن عثمان ، تفرد به : أحمد بن محمد الكاتب) .

قلتُ : ولم أقف لهذا الكاتب على ترجمةٍ ، وعمرو بن عثمان لينه العقيلي ، وتركه النسائي ، وقال أبو حاتم : (يتكلمون فيه ، يحدث من حفظه بمناكير) . فلا تثبت هذه المتابعة .

وذكر العراقي هذا الوجه في «تخريج الإحياء» (١٨٧/٤) ، وقال : (فيه ضعفٌ) ، وكذلك ضعف رواية الرقاشي عن أنس . والله أعلم .

● ويسأل القارئ : عبد المقصود محمد عبد الحميد - سيدي بشر - الإسكندرية :

عن درجة هذه الأحاديث :

١- « لا تجعلوا على العاقلة من قول معترف شيئًا » ؟

٢- « إن لكل شيء آنفة ، وآنفة الصلاة التكبيرة الأولى ، فحافظوا عليها » . وما معناه ؟

٣- « آفة الدين الأهواء » ؟

٤- كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى بعد الجمعة في المسجد صلى أربعًا ، وإذا صلى في بيته صلى ركعتين ؟

● والجواب بحول الملك الوهاب :

■ أما الحديث الأول : « لا تجعلوا على العاقلة .. » **فهو حديث باطلٌ موضوع** .

فأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٧٧/٥) ، قال : حدثنا سليمان بن أحمد - يعني : الطبراني - وهذا في «مسند الشاميين» (٢١٢٤) ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل . ثنا هارون بن معروف .

وأخرجه الدارقطني (١٨٧/٣) من طريق يعقوب بن محمد الزهري قالا : ثنا عبد الله بن وهب ، عن الحارث بن نبهان ، عن محمد بن

سعيد ، عن رجاء بن حيوة ، عن جنادة بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت مرفوعًا فذكره .

ونقل الزيلعيُّ في «نصب الراية» (٤/٣٨٠) عن ابن القطان الفاسي قال : (الحارث بن نبهان متروك الحديث) . قال عبد الحق في «أحكامه» : ومحمد بن سعيد هذا أظنُّه المصلوب ، قال ابن القطان : (وأصاب في شكه) . اهـ . وكذلك رجح الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/٣١) أنه المصلوب .

قال أبو نعيم : (غريب من حديث رجاء وجنادة بن أبي أمية ، تفرد به الحارث ، عن محمد بن سعيد) .

قلتُ : والحارث بن نبهان منكر الحديث ، ومحمد بن سعيد المصلوب كذاب ، فالحديث موضوع ، والله تعالى أعلم .

■ أما الحديث الثاني : «إن لكل شيء أنفة ...» **فهو ضعيف** .

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١١٤) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/١٧٧) من طريق ابن أبي شيبة ، وهذا في «المصنف» (١/٣٠٦) .

وأخرجه البزار (٥٢١- كشف الأستار) من طريق سعيد بن سليمان قالا : ثنا حماد بن أسامة أبو أسامة ، عن أبي فروة يزيد بن سنان ، حدثني أبو عبيد حاجب سليمان بن عبد الملك قال : سمعت شيخًا في المسجد الحرام يقول : قال أبو الدرداء ، فذكره مرفوعًا ، وفي آخره : قال أبو عبيد : فحدثتُ به رجاء بن حيوة فقال : حدثتنيه أم الدرداء ، عن أبي الدرداء . قال البزار : (لا نعلمه يروى مرفوعًا إلا بهذا الإسناد) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/١٠٣) : (فيه رجل لم يُسم) ، كذا قال ! وقد رأيت أنه توبع في السند الآخر ، تابعته أم الدرداء ، لكن الشأن في السند إليهما ، وأبو فروة يزيد بن سنان ضعيفٌ ، وقد تفرد به . قال أبو نعيم : (غريبٌ من حديث رجاء ، لم يروه عنه إلا فروة ، عن أبي عبيد) . اهـ . وأبو عبيد الحاجب ما عرفته .

فالحديث لا يثبت أما معناه ، فقال ابن الأثير في «النهاية» (١/٧٥) بعد ذكره هذا الحديث ؛ قال : (أُنفةُ الشيء : ابتداؤه ، هكذا رُوي بضم الهمزة ، قال الهروي : والصحيحُ بالفتح) .

■ أما الحديث الثالث : «آفة الدين الأنواء» **فضعيف جدًّا** .

أخرجه حمزة بن يوسف السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣٥٩) من طريق عمار بن رجاء الجرجاني - وثقه السهمي (ص٥٣٤) - حدثنا القاسم بن الحكم العرني ، حدثنا عبيد الله - هو ابن الوليد الوصافي - عن كرز بن وبرة الحارثي مرفوعًا : «إن لكل شيء آفة ، وآفة هذا الدين ؛ هذه الأنواء» . وسنده ضعيفٌ جدًّا ، فالقاسم العرني صدوق متماسك لينه أبو حاتم ، فقال : (محله الصدق يكتب حديثه ولا يحتج به) . وقال العقيلي : (في حديثه مناكير لا يتابع على كثير من حديثه) ، وعبيد الله بن الوليد تركه النسائي وعمرو بن الفلاس وضعفه أبو زرعة وابن معين والدارقطني وغيرهم ، ووكزه ابن حبان فقال : (يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد له ، فاستحق الترك) . اهـ . ثم هو معضل ، وكرز بن وبرة يروي عن التابعين أمثال ربعي بن حراش وشقيق بن سلمة وأبي حازم الأشجعي وغيرهم ، فالسند ضعيفٌ جدًّا . والله أعلم .

■ أما الحديث الرابع : «كان إذا صلى بعد الجمعة ...» **فلا أعلم له أصلاً** .

وقد بحثت عنه فلم أجده ، وأنما أشار إليه ابن القيم ، رحمه الله ، في «زاد المعاد» على ما أذكر . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .

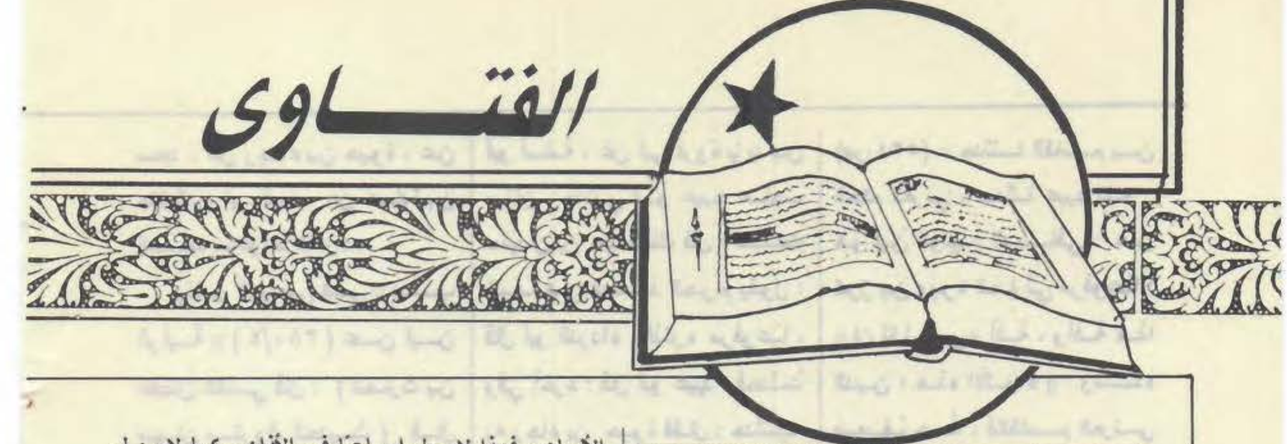

تلحين الأذان من البدع المكروهة !!

● يسأل : أحمد حسن عفيفي - سنتريس - منوفية :

عن الأذان الشرعي ، وعن البدع الواقعة فيه ؟

● والجواب : أما قولك : الأذان الشرعي فذلك يعني :

أولاً : أوقات الأذان ؛ وهي وقت دخول الصلاة ، إن كان في الحضر ووقت أدائها إن كان في سفر أو في بادية أو في مسجد لم يؤذن فيه .

ثانيًا : ألفاظ الأذان ، وهي المذكورة في الأحاديث الصحيحة ، وهي خمس عشرة كلمة آخرها : لا إله إلا اللّٰه ، وما يذكر بعدها وقبلها كله من المحدثات المبتدعة ، وكل بدعة في العبادات ، فهي سيئة .

ثالثًا : صوت المؤذن وتلحينه ، وفي ذلك ما جاء في البخاري قال عمر بن عبد العزيز : أذن أذانًا سمحًا وإلا فاعتزلنا ، والسماحة في الأذان هي الإفصاح وترك الغمغمة ومد الصوت .

يقول الشيخ علي محفوظ في كتابه ((الإبداع)) : ومن البدع المكروهة تحريمًا تلحين الأذان ، وهو التطريب - أي التغني به - بحيث يؤدي إلى تغيير كلمات الأذان وكيفيتها بالحركات والسكنات ونقص بعض حروفها ، أو زيادة فيها محافظة على توقيع الألحان ، فهذا لا يحل إجماعًا في الأذان ، كما لا يحل في قراءة القرآن .

وفي ((الموسوعة الفقهية)) : الترسل في الأذان ، وهو التمهل والتأني ، ويكون بسكتة تسع الإجابة بين كل جملتين من جمل الأذان ، على أن يجمع بين كل تكبيرتين بصوت ويفرد بقية كلماته .

هذا ، وكثير من القراء المجيدين يؤذن الأذان الموافق لقواعد التجويد ، مع المحافظة على الحروف والكلمات ، وعدم خروجهم بالألحان عن المشروع إلى الممنوع . واللّٰه أعلم .

ونحب أن نعرف بأصل الزيادات المبتدعة في الأذان ، إنما يرجع إلى ما أحدثه الفاطميون في مصر ، لكن ألغاه صلاح الدين الأيوبي ، واستمر الأمر على ذلك حتى جاءت الدولة العثمانية ، وفي سنة ٧٦٠ هـ قام محتسب القاهرة ابن البرلسي فزاد يوم الجمعة في الأذان الصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم حتى سنة ٧٩١ هـ ، حيث كان المحتسب عندئذ نجم الدين الطنبدي ، وكان جهولاً ، سيئ السيرة ، يتهافت على المال ، ويأخذ الرشوة ، ويأكل الحرام ، لم تحمد الناس قط أياديه ، ولا شكرت أبدًا مساعيه ، بل جهالاته شائعة وقبائح أفعاله ذائعة ، فجاءه شيخ يزعم له أنه رأى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في النوم يأمره أن يجعل الصلاة عليه في كل أذان ، فأعجب الجاهل بذلك ، وأمر به من شعبان في هذه السنة ، وهو يجهل أن الرؤيا لا تصح مصدرًا للشرع ، وإنما الشرع ما قاله صلى اللّٰه عليه وسلم في حياته وقبل موته .

إعداد لجنة الفتوى بالمركز العام

أعضاء اللجنة

رئيس اللجنة / محمد صفوت نور الدين   صفوت الشوادفي   د . جمال المراكبي

الغناء والدف من الجواري وبين النساء بالكلام المباح جائز في الأفراح ولا يجوز نقله إلى الرجال !!

● وتسأل : س . أ . ن - مركز نسوق - كفر الشيخ : *عن الزفة الإسلامية التي تعتمد على الأغاني الدينية ، فهل هذا جائز أم لا ؟*

● والجواب : قال ابن قدامة في ((المغني)) : الملاهي على ثلاثة أضرب :

١- محرم ؛ وهو ضرب الأوتار والنايات والمزامير كلها والعود والطنبور والمعزفة والرباب ونحوها ، فمن أدام استماعها ردت شهادته ؛ لأنه يروى عن علي ، رضي اللّه عنه ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : ((إذا ظهرت في أمتي خمس عشرة خصلة حل بهم البلاء)) ، فذكر منها : ((إظهار المعازف والملاهي)) .

وأخرج أحمد عن أبي أمامة قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ((إن اللّه بعثني رحمة للعالمين ، وأمرني بمحق المعازف والمزامير ، لا يحل بيعهن ، ولا شراؤهن ، ولا تعليمهن ، ولا التجارة فيهن ، وثمنهن حرام)) ؛ يعني ثمن الجواري اللاتي يعملن بذلك والآلات .

وروى نافع قال : سمع ابن عمر مزمارًا قال : فوضع إصبعيه في أذنيه ، ونأى عن الطريق ، وقال لي : يا نافع ، هل تسمع شيئًا ؟ قال : فقلت : لا ، قال : فرفع إصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فسمع مثل هذا ، فصنع مثل هذا . رواه الخلال وأبو داود في ((سننه)) ، وصححه الألباني .

٢- وضرب مباح ؛ وهو الدف ، فإن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : ((أعلنوا النكاح ، واضربوا عليه بالدف)) . رواه مسلم .

قال ابن قدامة : وذكر أصحابنا - أي الحنابلة - وأصحاب الشافعي أنه مكروه في غير النكاح .

وروت الربيع بنت معوذ قالت : دخل عليَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم صبيحة بُني بي ، فجعلت جويريات يضربن بدف لهن ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر ، إلى أن قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد ، فقال : ((دعي هذا ، وقولي الذي كنت تقولين)) . متفق عليه .

٣- وأما الضرب به للرجال فمكروه على كل حال ؛ لأنه إنما كان يضرب به النساء والمخنثون المتشبهون بهن ، ففي ضرب الرجال به تشبه بالنساء ، وقد لعن النبي صلى اللّه عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء .

وقال ابن قدامة : ومن اتخذ الغناء صناعة يؤتى له ويأتي له ، أو اتخذ غلامًا أو جارية مغنيين يجمع

عليهما الناس ، فلا شهادة له ؛ لأن هذا عند من لم يحرمه سفه ودناءة وسقوط مروءة ، وعند من حرمه فهو مع سفهه عاص مُصر مظاهر بفسوقه ، وبهذا قال الشافعي وأصحاب الرأي . (راجع المغني والمجموع والحاوي الكبير ، في كتاب الشهادات) .

قال ابن حجر في ((الفتح)) : واستدل بقوله : ((واضربوا عليه بالدف)) ، على أن ذلك لا يختص بالنساء ، لكنه ضعيف ، والأحاديث القوية فيها الأذن في ذلك للنساء ، فلا يلتحق بهن الرجال لعموم النهي عن التشبه بهن .

والحاصل من ذلك أن الغناء والدف من الجواري وبين النساء بالكلام المباح جائز في الأفراح ، بل مندوب إليه ، ولا يجوز نقل ذلك للرجال ، ولا غناء الرجال بين النساء ، ولا النساء بين غير المحارم من الرجال . والله أعلم .

يجب على سائر المسلمين الإعراض عن كتب أهل الهوى والأحقاد ، وعلى العلماء البيان والتحذير

● ويسأل القارئ : أنور سلامة – القاهرة :

فيسأل عما كتبه العشماوي في كتاب ((الخلافة الإسلامية)) ، حيث يزعم فيه أن الحجاج بن يوسف الثقفي تدخل في مصحف عثمان ، فغير أحد عشر موضعًا فيه ، ثم سرد هذه المواضع ، فكان أول موضع منها في سورة ((البقرة)) قوله : ﴿ لم يتسنه ﴾ ، حيث كانت : ﴿ لم يتسن ﴾ ، فأضاف الهاء إليها ؟

● والجواب : أن الحجاج بن يوسف الثقفي ولي العراق في زمان عبد الملك بن مروان في عهد دولة بني أمية ، وبقي على الولاية لهم عشرين سنة ، وله مساوئ كثيرة مشهورة معلومة ، وله حسنات مغمورة في فيض مساويه ، فمن محاسنه : أنه أول من ضرب درهمًا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأول من بنى مدينة في الإسلام بعد الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وأن امرأة من المسلمين سبيت في بلاد الهند ، فنادت : يا حجاجاه ، فلما بلغه ذلك ، جعل يقول : لبيك ، لبيك ، وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى أنقذ المرأة ، واتخذ المناظير التي يطلع بها على أخبار العدو ، ومن جملة محاسنه ما قاله أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أحدًا أفصح من الحسن البصري والحجاج .

هذا ، وللحجاج بن يوسف الثقفي جهود محمودة في كتابة المصحف ، فقد كان له إشراف على نقط المصحف ، نقط الإعجام ، ولقد كلف الحجاج عاصم الجحدري ، وناجية بن رمح ، وعلي بن أصمع ، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف يخالف مصحف عثمان ، ويعطوا صاحبه ستين درهمًا ، تعويضًا له عن مصحفه الذي أخذوه منه .

وإذا عرفنا أن الكوفة كانت منزل عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، وأنه رفض هو وأصحابه تسليم مصاحفهم أو حرقها بعد توحيد المصاحف في أول الأمر ، أي بعد كتابة المصحف العثماني ، فيحتمل أن بعض الحروف تسللت إلى مصاحف أهل الكوفة ، مخالفة للمصحف العثماني ، لذا حرص الحجاج على تعديل ما خالف المصاحف العثمانية ، لا أن يغير المصاحف العثمانية .

هذا ، وذلك العمل لم يكن بيد الحجاج ، إنما كان عمل لجنة كونها من نصر بن عاصم ، وابن أصمع ، ومالك بن دينار ، وأبو العالية ، وجعل عليهم الحسن البصري ، فغيروا تلك الحروف الإحدى عشر .

ومما يزيد الأمر إيضاحًا ؛ أن مصحف ابن مسعود كان به : (لم يتسنه) بغير هاء ، لكن مصحف عثمان كانت فيه الهاء في : (لم يتسنه) ، حيث روى

أبو عبيدة في فضائل القرآن أن هانئًا قال : كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت ، فقال زيد : سله عن قوله : (لم يتسن) ، فقال عثمان : اجعلوا فيها الهاء .

يظهر من ذلك جليًا أن الحجاج وجماعة العلماء الذين كلفهم غيروا حروف المصاحف على حرف عثمان ، فكأنهم وجدوا مما بقي في مصاحف الناس بالعراق أحد عشر حرفًا هي التي خالفت مصحف عثمان ، فغيروها لتوافق مصحف عثمان لا أن يغيروا مصحف عثمان ، فتدبر .

ونحب أن نذكر في ذلك بملاحظات هامة :

الأولى : أن النسخ لم يكن طباعة ، أو ما شابهها ، كما هو اليوم ، بحيث أن تصحيح جميع النسخ يتم بتصحيح أصل تتم طباعته عليه بعد ذلك ، وهذا يعني أن تصحيح كل نسخة كان على حدة ، بخلاف الحال اليوم أن التصحيح والمراجعة يتم على أصل يطبع وينسخ ، أو يصور عليه ، ثم تنقل إلى سائر بلاد الدنيا من مطبعة واحدة .

الثاني : أن الإسلام كان قد امتدت رقعته ، فشملت معظم قارتي آسيا وإفريقية وجانبًا كبيرًا من أوربا ، أما العراق فليست إلا بقعة صغيرة من بلاد الإسلام ، فإذا كان التصحيح قد تم بالحجاج في الكوفة والعراق ، فما الذي غير بقية المصاحف في سائر بلاد المسلمين ، إلا أن يكون الحجاج قد وافق بتغييره الذي أحدثه ما عليه سائر المصاحف في بقية بلدان المسلمين .

ثالثًا : يؤيد ذلك ما رواه البخاري من حديث العراقي الذي جاء لعائشة يؤلف المصحف على مصحفها ، وذلك لاشتهار كثير من تلاميذ ابن مسعود ، رضي الله عنه ، في كتابة المصاحف على حرفه ، ودخول بعضها على المصاحف التي نسخها الناس لأنفسهم ، فاحتاج ذلك إلى مراجعة وتصحيح ، أما المصحف الإمام الذي كتبه عثمان وكتب الناس منه ، فهو الذي تم التعديل لموافقته ، وهذا هو الذي تلتئم به النصوص ، وتشهد له كافة الشواهد .

هذا ، وتفصيل ذلك فيما ينشر في هذا العدد وما قبله في باب السنة عن جمع القرآن .

وبعد : فالعجب ممن يدعي التحقيق وينسب نفسه للعلم ، ينقل كلامًا جاء في كتاب مثل كتاب المصاحف لابن أبي داود ، إنما كتب لقوم يعرفون مصطلحات العصر ، فلا يختلط عليهم الأمر ولا تنطلي عليهم الشبهات ، فإيراد مثل هذه الأخبار بغير توضيح للمقصود منها لا يقوم به إلا جاهل أو حاقد مريض القلب .

لذا وجب على سائر المسلمين الإعراض عن كتب أهل الأهواء والأحقاد ، وعلى العلماء البيان والتحذير ، وإن ربك لبالمرصاد .

● وتسأل : س . أ . ن - كفر الشيخ - مركز دسوق :

عن شراء الحبوب وقت وفرتها وانتظار ارتفاع السعر ، هل هو احتكار ؟

حكم شراء الحبوب وقت وفرتها وانتظار ارتفاع السعر !!

● والجواب : الاحتكار : شراء الطعام ونحوه وحبسه إلى الغلاء وارتفاع الأثمان ، واشترط الشافعية أن يكون الشراء وقت الغلاء ، أي وحبسه في وقت شدة حاجة الناس إليه .

قال ابن قدامة : والاحتكار المحرم ما اجتمع فيه ثلاثة شروط

أحدها : أن يشترى ، فلو جلب شيئًا أو دخل من غلته شيئًا فادخره لم يكن محتكرًا ؛ لأن الجالب لا يضيق على أحد ولا يضر به .

الثاني : أن يكون المشترى قوتًا - أي أنه يرى الاحتكار خاص بالطعام .

الثالث : أن يضيق على الناس بشرائه ، ويحصل ذلك بأمرين :

أحدهما : يكون في بلد يضيق بأهله الاحتكار .

والثاني : أن يكون في حال الضيق ، بأن يدخل البلد قافلة فيتبادر ذوو الأموال فيشترونها ويضيقون على الناس ، فأما إن اشتراه في حال الاتساع والرخص على وجه لا يضيق على أحد فليس بمحرم .

وفي ((صحيح مسلم)) عن معمر قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ((من احتكر فهو خاطئ)) ، وفي رواية : ((لا يحتكر إلا خاطئ)) ، قال النووي : هذا حديث صريح في تحريم الاحتكار - ثم عرفه بقوله -: هو أن يشتري الطعام في وقت الغلاء للتجارة ، ولا يبيعه في الحال ، بل يدخره ليغلو ثمنه ، فأما إذا جاء من قريته أو اشتراه في وقت الرخص وادخره وابتاعه وقت الغلاء لحاجته إلى أكله أو ابتاعه ليبيعه في وقته ، فليس باحتكار ، ولا تحريم فيه ، وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكل حال .

قال العلماء : والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس ، كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أُجبر على بيعه دفعًا للضرر عن الناس .

وقال المارزي في ((المعلم)) : أصل هذا مراعاة الضرر ، فكل ما أضر بالمسلمين وجب أن ينفى عنهم ، فإذا كان شراء الشيء بالبلد يغلي سعر البلد ويضر بالمسلمين منع المحتكر من شرائه ، نظرًا لحق المسلمين عليه ، كما قال العلماء : إنه إذا احتيج إلى طعام رجل واضطر الناس إليه ، ألزم ببيعه منهم ، فمراعاة الضرر هي الأصل في هذا .

قال الخطابي في ((معالم السنن)) : الاحتكار كرهه مالك والثوري في الطعام وغيره من السلع ، قال مالك : يمنع احتكار الكتان ، والصوف ، والزيت ، وكل شيء أضر بالسوق ، إلا أنه قال : ليست الفواكه من الحكرة ، وقال أحمد : ليس الاحتكار إلا في الطعام خاصة لأنه قوت الناس .

قال صديق حسن خان : والتصريح بلفظ الطعام في بعض الروايات لا يصلح لتقييد بقية الروايات المطلقة ؛ لأن نفي الحكم عن غير الطعام إنما هو لمفهوم اللقب ، وهو غير معمول به عند الجمهور ، وما كان كذلك لا يصلح للتقييد على ما تقرر في الأصول .

قال البغوي : وقال الحسن والأوزاعي : من جلب طعامًا من بلد فحبسه ينتظر زيادة السعر ، فليس بمحتكر ، إنما المحتكر من اعترض سوق المسلمين ، وقال أحمد : إذا دخل الطعام من ضيعته فحبسه فليس بمحتكر .

وقال البغوي : اختلف أهل العلم في الاحتكار ، روي عن عمر أنه قال : لا حكرة في سوقنا ، لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من رزق اللّه نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ، ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف فليبع كيف شاء اللّه وليمسك كيف شاء اللّه .

قال القرطبي في ((المفهم)) : لا خلاف في أن ما يدخره الإنسان لنفسه وعياله من قوت وما يحتاجون إليه جائز لا بأس به ، فإذًا مقصود هذا منع التجار من

الادخار ، وإذا ظهر ذلك ، فهل يمنعون من ادخار كل شيء من الأقوات والحيوان والعلوفة والسمن واللبن والعسل ، وغير ذلك – أضر بالناس أو لم يضر – إذا اشترى في أسواقهم ، كما قال ابن حبيب أخذًا بعموم الخبر أو بإطلاقه ؟ أو : إنما يمنعون من ادخار ما يضر بالناس ادخاره عند الحاجة إليه من الأقوات ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي ، وهو مشهور مذهب مالك ، وحملوا النهي على ذلك .

قُلتُ – القائل القرطبي -: وهذا هو الصحيح ، إن شاء اللَّه تعالى ؛ لأن ما لا يضر بالناس شراؤه واحتكاره لا يُخطأ مشتريه بالاتفاق ، ثم إذا اشتراه وصار ملكه فله أن يحتكره أو لا يحتكره ، ثم قد يكون احتكاره لذلك مصلحة ينتفع بها في وقت آخر ، فلعل ذلك الشيء ينعدم أو يقل فتدعو الحاجة إليه فيوجد فترتفع المضرة والحاجة بوجوده ، فيكون احتكاره مصلحة ، وترك الاحتكار مفسدة ، وأما الذي ينبغي أن يمنع ما يكون احتكاره مضرة بالمسلمين ، وأشد ذلك في الأقوات لعموم الحاجة ودعاء الضرورة إليها ، إذ لا يتصور الاستغناء عنها ، وينزل غيرها منزلتها ، فإن أبيح للمحتكرين شراؤها ارتفعت الأسعار ، وعز وجودها وشحت النفوس بها وحرص على تحصيلها فظهرت الفاقات والشدائد ، وعمت المضار والمفاسد ، فحينئذ يظهر أن الاحتكار من الذنوب الكبار ، وكل هذا فيمن اشترى من الأسواق ، أما من جلب طعامًا فإن شاء باع ، واحتكر .

ولا يعرض له إلا إن نزلت حاجة فادحة وأمر ضروري بالمسلمين ، فيجب على من كان عنده ذلك أن يبيعه بسعر وقته ، فإن لم يفعل أجبر على ذلك ، إحياءً للمهج وإبقاءً للرمق ، وأما إن كان اشتراه من الأسواق واحتكره وأضر بالناس ، فيشترك فيه الناس بالسعر الذي اشتراه به .

بذلك يتضح أن كل تضييق وإفساد على أسواق المسلمين ممنوع ، أما ما يصلح به السوق من ادخار أنواع من الطعام ، وليس بالمسلمين شدة وجوع ، خاصة إذا كان المدخر يملك من المخازن ما يحفظ الطعام على المسلمين من الآفات والفساد ، فذلك مصلحة وليس بمضرة فلا يمنع .

● ويسأل : محمود أحمد عامر – كفر الدوار :

عن معنى (عروض التجارة) ، وعن رجل أعطى عشرين ألف جنيه لتاجر ليعمل له فيها وله ثلث الربح وللتاجر الثلثين ، فما نصيبه من الزكاة ؟

● والجواب : عروض التجارة ؛ جمع العَرْض ، بسكون الراء ، وهي في اصطلاح الفقهاء كل ما أعد للتجارة كائنًا ما كانت سواء من جنس تجب فيه زكاة العين ، كالإبل ، والغنم ، والبقر ، أو كالثياب ، والحمير ، والبغال ، وفي ((لسان العرب)) قال : العرض بسكون الراء : ما خالف الثمنين الدراهم والدنانير من متاع الدنيا وأثاثها ، وجمعه عُرُوض .

قال الجوهري : العرْض ؛ المتاع وكل شيء هو عرض سوى الدراهم والدنانير ، فإنها عين .

وهذه الصورة التي ذكرتها من التجارة تسمى المضاربة ، ومعناها : عقد شركة في الربح بمال من رجل ، وعمل من آخر ، وزكاة صاحب المال في رأس المال وربحه ، وعلى (العامل زكاته) في ربحه ؛ أي الزكاة عليك في العشرين ألف ، والثلث الذي ربحته ، وزكاة ماله في ثلثيه عند رأس الحول إذا بلغت نصابًا . واللَّه أعلم .

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

الصوفية المعاصرة ووحدة الوجود

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على معلم الأمم النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم . أما بعد :

فما زال حديثنا عن أوراد الطرق الصوفية ، والذي نتحدث فيه عن الطريقة التجانية ، ثم الرفاعية ، وقبل أن نشرع في الحديث نجدد دعوتنا لكل من يريدنا أن نبحث له عن مواضع الانحراف في أوراد طريقته ، فليتفضل مشكورًا بإرسالها إلى مجلة التوحيد ، حتى نضمها إلى دراستنا التي تناولت كل ما وقع في أيدينا من أوراد الطرق الصوفية ، ولم أعثر على ورد من أوراد الصوفية إلا وهو واقع في متاهة وحدة الوجود ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والآن إلى الطريقة الثامنة عشر وهي :

● الطريقة التجانية

شيخ الطريقة هو : أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد التجاني ، ولد عام ١١٥٠ من الهجرة ، حفظ القرآن ورحل في طلب العلم إلى بلاد عديدة ، وتلقى عن العديد من مشايخ الصوفية ، وانتهت رحلاته إلى أبي صيفون ، وهناك زعم أنه جاءه الفتح ، وأنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا منامًا ، وأخذ عنه الطريقة مشافهة ، وزعم التجاني بعد شهرته أنه شريف ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولم يعول في إثبات ذلك على وثائق مكتوبة ، ولا أخبار الأعيان والآحاد ، بل زعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وسأله عن نسبه ، فأجابه بقوله : أنت ولدي حقًا ، وكررها ثلاثًا ، ثم قال : نسبك إلى الحسن صحيح .

وكتب مريده علي حرازم بن العربي براد من فيض شيخه التجاني كتاب ((جواهر المعاني وبلوغ الأماني)) يقرر فيها إيمانه بعقيدة وحدة الوجود في العديد من النصوص ، نختار منها : (الأصل في كل ذرة في الكون هي مرتبة للحق سبحانه وتعالى يتجلى فيها بما شاء من أفعاله وأحكامه ، والخلق كلهم مظاهر أحكامه وكمالات ألوهيته ، فلا ترى ذرة في الكون خارجة عن هذا الأمر ، فما ثم إلا كمالات ألوهيته ، وهو أن جميع المخلوقات مراتب للحق يجب التسليم له في حكمه ، وفي كل ما أقام فيه خلقه لا يعارض في شيء ، ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهرًا لا باطنًا ، ولا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود ، فيشاهد فيها الفصل والوصل ، إن الوجود عين واحدة لا تجزؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ، ووحدتها لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام والخواص ، وهي المعبر عنها عند العارفين بأن الكثرة عين الوحدة ، والوحدة عين الكثرة ، فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عينًا واحدة على كثرته ، ومن نظر إلى عين الوحدة نظرة متكثرًا بما لا غاية له من الكثرة ، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب ، وهذا لمن عاين الوحدة ذوقًا لا رسمًا) .

بقلم أ/ محمود المراكبي

● على كل من يريد أن نبحث له عن مواضع الانحراف في أوراد طريقته ، فليتفضل بإرسالها إلى مجلة التوحيد .

● لم أعثر على ورد من أوراد الصوفية إلا وهو واقع في متاهة وحدة الوجود .

ويكرر التجاني كلام ابن عربي مطمئنًا الكفار والمشركين على سلامة موقفهم فيقول : (فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى ؛ لأنه المتجلي في تلك الألباس ، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى ، وتعبده وتسبحه وخائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى ، ولو أنها برزت لعبادة الخلق ، وبرزت لها بدون تجليه فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته تعالى لنسبة الألوهية إلى غيره ، قال سبحانه وتعالى لكليمه موسى : ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾ [طه : ١٤] ، والإله في اللغة هو المعبود بحق ، وقوله : ﴿ لا إله إلا أنا ﴾ يعني ؛ لا معبود غيري ، وإن عبد الأوثان من عبدها فما عبد غيري ، ولا توجه بالخضوع والتذلل لغيري) .

وقد جاء في أحزاب وأوراد الطريقة التجانية (ص٣٠) الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية ونصها :

● اللهم صل وسلم على عين ذاتك العلية بأنواع كمالاتك البهية ، في حضرة ذاتك الأبدية ، على عبدك القائم بك منك لك إليك .

كما تتضمن أوراد الطريق (ص١٤) صلاة تسمى (جوهرة الكمال) تقول :

● اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة - أي ؛ المحيطة - بمركز الفهوم والمعاني ، ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني ، البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني ، اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق ، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم ، اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق ، الكنز الأعظم ، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم ، صلى الله عليه وعلى آله ، صلاة تعرفنا بها إياه .

وتنص ياقوتة الحقائق بالتعريف بحقيقة سيد الخلائق (ص٣٣) على ما يلي :

● اللهم .. العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك ، التي شئت نيها بوجود شئونك وأنشأت من نورك الكمال نشأة الحق ، وأنطتها وجعلتها صورة كاملة تامة تجد منها بسبب وجودها ، وجعلت منها فيها بسببها انبساط العلم ، وتشعشعت الصور البارزة بإقبال الوجود ، وقدرت لها وفيها ومنها ما يماثلها ، مما يطابق أرقام صورها ، وحكمت عليها بالبروز لتأدية ما قدرته عليها ، وجعلتها منقوشة في لوحها المحفوظ ، وجعلت لكل الكل في كلك ، وجعلت الكل قبضة من نور عظمتك ، روحًا لما أنت أهل له ، ولما هو أهل لك ، أن تصلي وتسلم على ترجمان لسان القدم ، اللوح المحفوظ ، النور الساري الممدود ، الذي لا يدركه دارك ، ولا يلحقه لاحق ، الصراط المستقيم ، ناصر الحق بالحق .

● **فتوى شرعية عن أوراد التجانية** : وجه بعض المسلمين العديد من الاستفسارات عن أوراد التجانية إلى

اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء ، والله تبارك وتعالى يجزيهم خير الجزاء ، حيث شكلوا لجنة من العلماء الأفاضل ، لدراسة أوراد هذه الطريقة ، وبحث أفكارها وقياسها بميزان الكتاب والسنة ، ثم أصدرت اللجنة العديد من الفتاوى بناء على هذه الدراسة المتأنية ، وإليكم نصوص هذه الفتاوى :

● الفتوى رقم (٢١٣٩) :

السؤال : هل يجوز قراءة ورد التجانية والتعبد به أم لا ؟

الجواب : بعد حمد الله ، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، الطريقة التجانية طريقة منكرة لا تتفق مع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ، بل فيها بدع شركية تُخرج من يعتقدها أو يعمل بها من ملة الإسلام والعياذ بالله ، وأورادها فيها بدع ، فلا يجوز التعبد بها ؛ لأن الأذكار من العبادات ، والعبادات توقيفية يُرجع فيها إلى كتاب الله وإلى ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتلاوة القرآن الكريم ، وما حث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذكر والدعاء في دواوين السنة ، والكتب التي استخلصت منها ، مثل : ((رياض الصالحين)) للنووي ، و((الكلم الطيب)) لابن تيمية ، و((الوابل الصيب)) لابن القيم ، و((الأذكار)) للنووي ، وغيرها من كتب الحديث المعتمدة .

● الفتوى رقم (٥٢٩٢) :

السؤال : عن قصيدة يتوسل فيها مريدي التجاني بشيخهم ، وفي القصيدة أبيات منها :

يا أحمد التجاني يا غيث القلوب
أما ترى ما نحن فيه من كروب

الجواب : أحمد التجاني وأتباعه الملتزمون لطريقته من أشد الخلق غلوًا وكفرًا وضلالاً وابتداعًا في الدين ، لما لم يشرعه الله سبحانه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم .

● الفتوى رقم (٥٥٥٣) :

السؤال : هي ما عقيدتكم في الطريقة التجانية ورؤية المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة ؟

الجواب : الفرقة التجانية من أشد الفرق كفرًا وضلالاً وابتداعًا في الدين لما لم يشرعه الله ، وقد تصدى مجموعة من العلماء لأوراد هذه الطريقة بالدراسة والتحليل ، وخلصت اللجنة إلى النتائج التالية ، ننقلها عنهم حرفيًا :

١- غلو أحمد بن محمد التجاني مؤسس الطريقة ، وغلو أتباعه فيه غلوًا جاوز الحد حتى أضفى على نفسه خصائص الرسالة ، بل صفات الربوبية والإلهية ، وتبعه في ذلك مريدوه .

٢- إيمانه بالفناء ووحدة الوجود ، وزعمه ذلك لنفسه ، بل زعم أنه في الذروة العليا من ذلك ، وصدّقه فيه مريدوه ، فآمنوا به واعتقدوه .

٣- زعمه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، وتلقين النبي صلى الله عليه وسلم إياه الطريقة التجانية ، وتلقيه وردها والإذن له يقظة في تربية الخلق ، وتلقينهم هذا الورد ، واعتقاد مريديه وأتباعه ذلك .

٤- تصريحه بأن المدد يُفيض من الله على النبي صلى الله عليه وسلم أولاً ، ثم يفيض منه على الأنبياء ، ثم يفيض من الأنبياء عليه - أي التجاني - ثم منه يتفرق على جميع الخلق من آدم إلى النفخ في الصور ، ويزعم أنه يفيض أحيانًا من النبي صلى الله عليه وسلم عليه مباشرة ، ثم يفيض منه على سائر الخليقة ، ويؤمن مريدوه بذلك ويعتقدونه .

٥- تهجمه على الله ، وعلى كل ولي لله ، وسوء أدبه معهم ، إذ يقول : قدماي على رقبة كل ولي ، فلما قيل له : إن عبد القادر الجيلاني قال فيما زعموا : قدمي على رقبة كل ولي قال : صدق ، ولكن في عصره ، أما أنا فقدماي على رقبة كل ولي من آدم إلى النفخ في الصور ، فلما قيل له : أليس الله قادرًا على أن يُوجد بعدك وليًا فوق ذلك ؟ قال : بلى ، ولكن لا يفعل !! كما أنه قادر على أن يوجد نبيًا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لا يفعل ، ومريدوه يؤمنون بذلك ويدافعون عنه .

٦- دعواه كذبًا أنه يعلم الغيب ، وما تخفي الصدور ، وأنه يُصرف القلوب ، وتصديق مريديه ذلك وعده من محامده وكراماته .

٧- إلحاده في آيات الله وتحريفها عن مواضعها ، بما يزعمه تفسيرًا إشاريًا ، كما سبق في الأعداد من تفسيره قوله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان ۞ بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ [الرحمن : ١٨، ١٩] ، ويعتقد مريدوه أن ذلك من الفيض الإلهي .

٨- تفضيله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

على تلاوة القرآن بالنسبة لمن يزعم أنهم أهل المرتبة الرابعة ، وهي المرتبة الدنيا في نظره .

٩- زعمه هو وأتباعه أن مناديًا ينادي يوم القيامة والناس في الموقف بأعلى صوته : يا أهل الموقف ، هذا إمامكم الذي كان منه مددكم في الدنيا .

١٠- زعمه أنه كل من كان تجانيًا يدخل الجنة دون حساب ولا عذاب ، مهما فعل من الذنوب .

١١- زعمه أن من كان على طريقته وتركها إلى غيرها من الطرق الصوفية تسوء حاله ، ويخشى عليه سوء العاقبة والموت على الكفر .

١٢- زعمه أنه يجب على المريد أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل ، لا اختيار له ، بل يستسلم لشيخه ، فلا يقول : لم ، ولا كيف ، ولا علام ، ولا لأي شيء .. إلخ .

١٣- زعمه أنه أوتي اسم الله الأعظم ، علّمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم هول أمره وقدر ثوابه بالآلاف المؤلفة من الحسنات ، خرصًا وتخمينًا ورجمًا بالغيب ، واقتحامًا لأمر لا يُعلم إلا بالتوقيف .

١٤- زعمه أن الأنبياء والمرسلين والأولياء لا يمكثون في قبورهم بأجسادهم ، إلا زمنًا محدودًا يتفاوت بتفاوت مراتبهم ودرجاتهم ثم يخرجون من قبورهم بأجسادهم كما كانوا من قبل ، إلا أن الناس لا يرونهم ، كما لا يرون الملائكة مع أنهم أحياء .

١٥- زعمه أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بجسده مجالس أذكارهم وأورادهم ، وكذا الخلفاء الراشدون .. إلخ ، إلى غير ذلك مما لو عرض على أصول الإسلام اعتبر شركًا وإلحادًا في الدين ، وتطاولاً على الله ورسوله وتشريعه ، وتضليلاً للناس ، وتبجحًا منهم بعلمه الغيب .. إلخ .

هذا ما تيسر ، والله الموفق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

توقيع الشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان . والشيخ / عبد الرزاق عفيفي . وسماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز (الرئيس العام للجنة) . انتهى .

كما لا يفوتنا الإشارة إلى المجهود الطيب الذي بذله الأستاذ علي بن محمد الدخيل في دراسته العميقة للطريقة التجانية ، والتي ضمنها تأليفه الجيد لكتاب التجانية دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة ، والذي ننصح الصوفية على اختلاف طرقهم بقراءته ، وجزاه الله خير الجزاء .

إن السؤال المنطقي الذي يطرح نفسه الآن هو : هل انحرفت الطريقة التجانية بقدر أكبر من غيرها من الطرق ؟ أم أن هناك اشتراكًا بينها وبين الصوفية عمومًا ، بحيث يمكن تطبيق فتوى علماء الإفتاء على كل الطرق ؟ وهذا سؤال خطير ، وإجابته تحتاج إلى لجان تتسلم أوراد الطرق الصوفية كاملة ، ثم تزنها بميزان الشرع ، وتحدد قدر الخلل فيها ، وهل هو خلل في أمور فرعية ، أم أن الأمر أشمل من ذلك ، وقدر الضرر الذي يلحق بعقيدة هؤلاء الأتباع ومقدار بعدهم عن حظيرة الإسلام ، إذا كانت وحدة الوجود هي أخطر انحرافات التجانية .

وقد أفتى علماء الرئاسة العامة للإفتاء بانحراف هذه المعتقدات ، وأنها أفكار كفرية بدعية ، ومعتقدوها على خطر عظيم ، وأن معظم ما تيسر لنا تحليله ودراسته من أوراد الطرق الصوفية المنتشرة في مصر ، قد أشربت عقيدة وحدة الوجود ، بل إن هناك أوراد تتحدث دون أي غموض وبشكل مباشر عن هذه الأفكار ، بل إن من الطرق الصوفية من أطلق على طريقته الحقيقة المحمدية .

وإذا كنا قد سعدنا بدور الأزهر الشريف في التصدي للطريقة البرهانية الدسوقية والشاذلية ، ولشيخها محمد عبده البرهاني ، وتوفيق الله تعالى لصاحب الفضيلة شيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق ، رحمه الله ، حتى منع هذه الطريقة من جمهورية مصر العربية ، قلعة الإسلام وحصنه الآمن ، إلا أننا ونحن نعلم أن الطريقة البرهانية فرع من الطرق الدسوقية التي ينادي شيخها بنفس أفكار التجاني ، وبالاتحاد والوحدة وأفكار الفاطميين وغيرهم ، فلم نغلق الفرع ولا نواجه الأصل ، لذا فإنا نسأل الله تبارك وتعالى أن يعين شيخ الجامع الأزهر الحالي فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي على التصدي للأصل ، وفي نفس الوقت يأمر بدراسة أوراد الطرق الصوفية ، ووقف أي طريقة تشيع بين الناس المفاهيم الفلسفية ، وتحجب الناس عن العقيدة الإسلامية السمحة ، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك . وإلى اللقاء في الحلقة القادمة إن شاء الله ، حيث نتحدث عن الطريقة الرفاعية .

من روائع الماضي

الحب في اللَّه والبغض في اللَّه

كتبه الشيخ / عبد الحميد محمد عرنسة (رحمه الله)

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ، ثم أمّا بعد :

فالحب في اللّه والبغض في اللّه شعبة من شعب الإيمان ، تركها الكثير لسبب تافه ، وما كان لهم أن يتركوها ، وإنها لأقوى الشّعب وأدلها على صدق الإيمان .

هذه الشّعبة هي الحب في اللّه والبغض في اللّه ، والسبب التافه الذي تركت من أجله ؛ هو حب الدنيا .

ومن علامة الحب في اللّـه : نصر من تحب ومساعدته إذا كان في حاجة إلى مساعدة ، ومعاداة من تكره وإن كان أقرب قريب لك وأغنى رجل يصل إليك من ناحيته رزق ، إن اللّه بحكمته لم يجعل رزق أحد على أحد ، ولو فعل لم يجد الكثير من الناس هذه السعة التي هم فيها لما جبل عليه الإنسان من الإمساك مخافة الفقر : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠] ، ولكن اللّه هو الرزاق ذو القوة المتين ، هو وحده المالك لخزائن الرحمة يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ولا ترى المؤمن إلا راضيًا ؛ إن بسط له الرزق شكر ، وأعطى الفقير حقه ، وإن قدر عليه رزقه صبر ، وعلم يقينًا أن اللّه لم يكن ليضيعه ويتركه ، وهو يعلم مكانه من الأرض وبؤسه : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على اللّه رزقها ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، وإن اللّه ما ابتلاه بالفقر إلا ليظهر حاله ، أيسخط أم يرضى ، أيكون أبيًا أم دنيئًا ؟ أبيًا تأبى نفسه الذل للمخلوق والضراعة لغير خالقه ، ويرى أنه أرفع من أن يكل أمره لمخلوق ؛ ولا يجد رزقه إلا عنده ، أو دني النفس ذليلًا كأنه الكلب يبصبص بذنبه لتعطيه لقمة ، فإن شئت أعطيته ، وإن شئت منعته وطردته ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، رضاه وسخطه وحبه وبغضه يدور حول شيء واحد ، وهو هذا الحطام الفاني الذي يجد فيه شبع بطنه وبلوغ أمله .

الناس ثلاثة : مؤمن مستقيم على طريقة الرسول ؛ فهذا تحبه في اللّه ، وآخر أظهر الكفر والعداوة للمسلمين ، فذلك تبغضه في اللّه ، وثالث فاسق أو مبتدع ، فذلك ترشده وتنصحه باتباع النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فإن قبل النصيحة واستقام على الطريقة فهو أخ في اللّه ، وإن أبى عودي في اللّه ، فالمرء على دين خليله ؛ فلينظر أحدكم من يخالل ، والمرء يحشر مع من أحب ، فلا تجعل في قلبك محبة لمن عادى ربه .

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] ، فهم باقون على ما هم عليه من الأخوة ، وهم في ظل اللّه يوم لا ظل إلا ظله .

المؤمنون درجات عند اللّه ، وأعلاهم درجة هو من لا يكاد تجد له عدوًا واحدًا من أجل هذه الدنيا الفانية ، في الوقت الذي تجد له فيه أعداء كثيرين من أجل هذا الدين .

ومما يملأ القلب غيظًا ويحز في النفس أن ترى مدعي صداقتك مع عدوك ، فلا عجب إذا شدد القرآن في النهي عن مصادقة أعداء اللّه . أفيغضب المخلوق لرؤية مدعي صداقته مع عدوه ولا يغضب الخالق لمثله ؟ كلا ، إن غضب اللّه وغيرته أشد من غضب المخلوق وغيرته .

لقد دب إلى المسلمين الضعف من يوم أن تركوا هذه الشعبة ((البغض في اللّه)) ، وتركوا بتركها الجهاد في سبيله .

لقد كانت مصر والشام وغيرها بلادًا إسلامية ، يحكم فيها بكتاب اللّه وسنة رسوله ، ولا يقيم بها من الكفار إلا ذميون يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ، أما الآن فقد تغير الحال ، وما كان هذا التغير إلا بتغيير المسلمين ما بأنفسهم ، كما جاء في القرآن : ﴿ إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : ١١] .

ترك المسلمون كثيرًا من شعب الإيمان ، وتركوا الجهاد ، فقوي عدوهم ، وغلبهم على أمرهم ، وليتهم فعلوا كما يفعل المصروع يقوم من سقطته ليجمع قواه ويكر على من صرعه ، ولكن كان منهم من آخى العدو وصادقه ، بل وأضمر له المحبة ، واللّه سبحانه يقول : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللّه في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، إلا إذا كنتم في سلطانهم فخفتم منهم شيئًا على أنفسكم ، فلكم أن تظهروا لهم المحبة من غير أن تضمروها ، حتى إذا نجوتم عدتم إلى مناوأتهم ، ومعاداتهم ، حذر اللّه المؤمنين نفسه إذا صادقوا عدوه أن يسلبهم ما هم فيه من نعمة ، فيبدل حالهم ؛ من قوة إلى ضعف ، ومن عز إلى ذل ، وقد كان الضعف وذهاب المجد والشوكة كما ترون حينما عصوا أمره : ﴿ وما ظلمهم اللّه ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [آل عمران : ١١٧] . ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم ﴾ [آل عمران : ٢٩] ، من حب لأعداء اللّه : ﴿ أو تبدوه يعلمه اللّه ويعلم ما في السموات وما في الأرض واللّه على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران : ٢٩] ، يجمع بين العلم الشامل والقدرة التامة ، فليكن أشد رهبة في صدوركم ممن لا يعلم شيئًا إلا أن يُعلمه ، ولا يقدر على شيء إلا أن يشاء اللّه .

أيها المؤمن : خف اللّه واليوم الآخر : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء ﴾ [آل عمران : ٣٠] ، لم ترجع عنه ولم تندم عليه ﴿ تود ﴾ عند رؤية أعمال السوء مسطرة في كتابها : ﴿ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا ﴾ [آل عمران : ٣٠] لتصلح من حالها ، ولكن هيهات .

فانظر كيف حذرنا اللّه نفسه مرتين بعد النهي عن موالاة عدوه ، ثم انظر كيف أرشدنا بعد ذلك إلى علامة محبته ، فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وإذا كان لا بد لمدعي المحبة أن يطيع الرسول ويتبع هديه ، كان لابد أن يخفض جناحه لمن اتبع الرسول ، ويعادي أعداءه . واللّه الموفق .

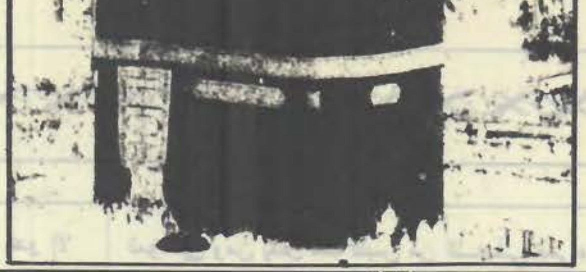

الحسد في القرآن

بقلم الشيخ / أسامة علي سليمان

مدير شئون القرآن بالمركز العام

الحمد للَّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فإن أمراض القلوب أشد خطورة على المسلمين من أمراض الأبدان ، إذ يترتب عليها خسران الدنيا والآخرة معًا ، وذلك هو الخسران العظيم ، ولذلك كانت سلامة القلب هي المنقذة للعبد من عذاب يوم القيامة : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ۞ إلا من أتى اللَّه بقلب سليم ﴾ [الشعراء : ٨٨، ٨٩] .

والقلب السليم هو الذي سلم من كافة الأمراض « أمراض الشهوات والشبهات » ولذلك فإن الظاهر لا يغني أبدًا عن الباطن ، يقول سبحانه : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد اللَّه على ما في قلبه وهو ألَدُّ الخصام ۞ وإذا تولَّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل واللَّه لا يحب الفساد ﴾ [البقرة : ٢٠٤، ٢٠٥] ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

ومن أمراض القلوب التي شقت طريقها إلى قلوب الكثير - إلا من رحم اللَّه - داء الحسد ؛ فما الذي دفع أحد أبناء آدم ، عليه السلام ، ليقتل أخاه ثم يندم على فعله الآثم ؛ إنه الحسد ، وما الذي جعل إخوة يوسف ، عليه السلام ، يلقونه في الجب دون ذنب ارتكبه ؛ إنه الحسد ، وما الذي جعل الملأ من بني

إسرائيل يرفضون ملك طالوت ويقولون : أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ؟ إنه الحسد ، وما الذي منع المشركين من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : ﴿ لولا نُزِّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١] ؟ إنه الحسد ، وما الذي أوقد نار الغيرة عند إبليس اللعين ليظل خلف آدم حتى يخرجه من الجنة ؟ إنه الحسد ، وما الذي جعل أهل الكتاب يريدون أن يرتد المؤمنون عن دينهم الحق ليكونوا كفارًا ؟ إنه الحسد .

فما هو الحسد ؟ وما هي أحكامه ؟ وكيف يمكن دفعه ؟ وما هي الأسباب المؤدية إليه ؟ وما هو جزاء الحاسد في الدنيا والآخرة ؟

الحسد : هو تمني زوال نعمة الغير ، سواء تمنى الحاسد أن لا تتحول النعمة إليه أو تتحول ، أو تمنى عدم مصاحبة النعمة للمحسود.

ولقد ورد لفظ الحسد في القرآن الكريم صريحًا في مواضع وتلميحًا في مواطن أخرى ، يقول سبحانه : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] ، ويقول سبحانه : ﴿ ود كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وقد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه ، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه وتوجهت سهام الحسد من قلبه فيتأذى المحسود بمجرد ذلك ، فإن لم يستعذ المحسود بالله ويتحصن به ناله شر الحاسد .

وللحسد أسباب عديدة منها :

١- تمكن الدنيا من القلب ؛ إذ قد يخشى الحاسد أن يكون غيره في نعمة ، أو تطرأ عليه نعمة تدفعه إلى منازعته في منصبه ، فيتمنى أن يظل المحسود على حاله ليضمن لنفسه متاع الدنيا الزائل .

٢- قلة الإيمان وضعفه في قلب الحاسد ؛ ولأن الحاسد لا يعلم علم اليقين أن الله عز وجل يعطي ويمنع لحكمة يعلمها سبحانه ، وقد يكون البلاء منه سبحانه عطاء ، وقد تكون النعمة نقمة ، والنقمة نعمة : ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

٣- العداوة والبغضاء ؛ وهذه العداوة قد تكون من أثر ظلم وقع على الحاسد من المحسود ، أو بسبب أن قلب الحاسد جبل على الشر والبغي والعدوان : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

٤- شدة البخل ؛ فإن لم يؤد صاحب النعمة واجبها بالإحسان إلى الفقراء والمساكين وكل من له عليه حق ، فقد يتمنى الجميع زوال تلك النعمة ، وهذا واضح جلي في علاقة الجار بجاره ، إذ لو أحسن الجار لجاره ما تمنى زوال نعمته أبدًا ، وكذا حال الفقير مع الغني .

٥- إرادة تسخير الناس ، حيث يتمنى الحاسد أن يظل جميع الناس تحت إرادته وسيطرته يسخرهم كيف يشاء وحسب ما أراد ، فإذا حلت نعمة بأحدهم سيخرج بها من تحت سيطرته وتسخيره تمنى أن يظل على حاله ليضمن لنفسه الهيمنة والسيطرة وذلك لمرض في قلبه ، فهو في الآخرة من جنود إبليس : ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود إبليس أجمعون ﴾ [الشعراء : ٩٤، ٩٥] ، وحسناته مآلها للمحسود ، وهو مع المشركين لتشبهه بهم في تمنيهم زوال النعمة عن المؤمنين ، وفي الدنيا يعيش في هم وحزن دائمين بنزول نعم الله على عباده ، إضافة إلى بغضه في قلوب الخلق وتعرضه للبلاء الدائم ، وصدق القائل :

اصبر على كيد الحسود
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

ويمكن دفع الحسد بوسائل عديدة منها :

١- التوحيد الخالص ؛ إذ لا بد للعبد أن يعلم أن الأمور كلها بيد الله ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروه بشيء فلن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ [الأنعام : ١٧] . والتوحيد هو حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين .

٢- التوبة إلى الله من كل الذنوب ؛ فالذنوب هي سبب تسليط المؤذين ، وما يعلمه العبد من ذنوبه أقل بكثير مما لا يعلمه ، ولذلك عندما قابل أحدَ السلف رجلٌ أغلظ عليه ونال منه قال له : قف ، ثم دخل بيته وسجد لربه وتاب وأناب إليه ، ولما سُئل ما صنعت ؟ قال : تبت إلى الله من الذنب ؛ سلطك الله به عليّ : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] .

٣- قراءة القرآن وتدبر آياته ، فالقرآن هو الشفاء من كل الأدواء - بدنية كانت أو قلبية -: ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض ، كما قال ابن القيم ، رحمه الله .

٤- الدعاء والرقية ؛ حيث إن سلامة القلب نعمة من الله على صاحبها ، ولذلك فإن طلب تلك النعمة من رب العالمين طريقها الدعاء والإخلاص فيه : ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا .. ﴾ [الحشر : ١٠] .

ولقد رقى جبريل ، عليه السلام ، النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك » .

٥- الإحسان إلى الحاسد والصبر عليه ؛ يقول سبحانه : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

فمقابلة الإساءة بالحسنة ، والبغض بالحب ، والأذى بالإحسان هو من سمات المؤمنين ، ولذا لما آذى النبيَّ صلى الله عليه وسلم قومه حتى سال الدم من قدمه الشريفة قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » . وهو القائل صلى الله عليه وسلم : « اعف عمن ظلمك ، وصل من قطعك » . وهو القائل صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافئ ، وإنما الواصل من إذا قطعته رحمه وصلها » . ولأن الجزاء من جنس العمل ؛ فإن أهل الجنة لا يتحاسدون ولا يتباغضون ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٌ تجري من تحتهم الأنهار ﴾ [الأعراف : ٤].

فيا أيها الحاسد ؛ تب إلى ربك من ذلك المرض العضال ؛ لأنه محبط للعمل ، ماحق للبركة ، جالب للهم ، موقع في سخط الله وغضبه ، فانشغل بنفسك ، فالمؤمن يستر وينصح ، والمنافق يهتك ويفضح ، وتمنى لأخيك ما تتمناه لنفسك .

فنسأل الله سبحانه أن يرزقنا سلامة الصدر ، فهي التي لا نطيق ، فعن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : كنا جلوسًا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وقد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى ، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا ، فإذا رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي ، فقال : نعم ، قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا .

فلما مضت الثلاث ليالي وكدت أن أنصرف قلت : يا عبد الله ، إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنك ثلاث مرات : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » ، فطلعت أنت الثلاث مرات ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هو إلا الذي رأيت ، قال : فلما وليت مكاني ، فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه ، فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق . [رواه أحمد] . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

باب الأدب

الإيمان ومزاياه

الحلقة الثانية

بقلم د :
السيد محمد عبد الحليم

✱ **الكمال الإلهي** : ولا بد مع الإيمان بوجود الله ووحدانيته من الإيمان بأنه متصف بكل كمال يليق بذاته الكريمة ، منزه عن كل نقص : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] ، دلّ على ذلك هذا الكون البديع وما فيه من إحكام عجيب ، وهدت إلى ذلك الفطرة البشرية النيرة ، وفصلت ذلك رسالات الله تعالى إلى أنبيائه ، فهو سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيءٌ : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام : ٥٩] ، وهو العزيز الفعال لما يريد ، الذي لا يغلبه شيء ، ولا يقهر إرادته شيء : ﴿قل اللهم مالك الملك تُؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ [آل عمران : ٢٦] ، وهو القادر الذي لا يُعجزه شيء ، يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويحيي العظام وهي رميم ، ويعيد الخلق كما بدأهم أول مرة ، وهو أهون عليه : ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك : ١] ، وهو الحكيم الذي لا يخلق شيئًا عبثًا ، ولا يترك شيئًا سدًى ، ولا يفعل فعلاً ، أو يُشرع شرعًا إلا لحكم ، عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها ، وهذا ما شهد به الملائكة في الملأ الأعلى : ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة : ٣٢] ، وما شهد به أنبياء الله وأولياؤه ، وأولو الألباب من عباده : ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾ [آل عمران : ١٩١] ، وهو الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه ، ووسعت رحمته كل شيء ، كما وسع علمه كل شيء ، وقد حكى القرآن دعاء الملائكة : ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا﴾ [غافر : ٧] .

فالله جل جلاله ، وعز كماله ليس بمعزل عن هذا الكون وما فيه ومن فيه ، كإله أرسطو الذي سماه « المحرك الأول » ، أو « العلة الأولى » ، ووصفه بصفات كلها « سلوب » لا فاعلية لها ولا تأثير ولا تصريف ولا تدبير ، فهو عندهم لا يعلم إلا ذاته ، ولا يدري شيئًا عما يدور في هذا الكون العريض .

فالله العلي الأعلى : ﴿خلق الأرض والسموات العلا ✱ الرحمن على العرش استوى ✱ له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ✱ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ✱ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ [طه : ٤ - ٨] ، فهو خالق كل شيء ورازق كل حي ، ومدبر كل أمر ، أحاط بكل شيء علمًا ، وأحصى كل شيء عددًا ، وخلق فسوى ، وقدر فهدى ، يسمع ويرى ، ويعلم السر والنجوى ، له الخلق والأمر ، وبيده ملكوت كل شيء ، يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، ويُخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، له ما في السماوات وما في الأرض ، مِلكًا ومُلكًا ، لا يملك أحد مثقال ذرة في

السماوات والأرض ، ما لأحد فيهما من شرك ، الشمس والقمر والنجومُ مسخرات بأمره ، والأرض وما عليها ممهدة بقدرته، مسيرة بمشيئته ، وفق حكمته ، وهو الذي يُرسل الرياح فتثير سحابًا ، فيبسطه في السماء كيف يشاء ، ثم يجعله كسفًا فترى الودق يخرج من خلاله ، وهو الذي سخر الفلك تجري في البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وهو الذي جعل الأرض ذلولاً ، ليمشي الناس في مناكبها ويأكلوا من رزقه ، كل من في السماوات والأرض خلقه وعباده ، الملائكة في السماوات ، والجن والإنس في الأرض ، كلهم في طوع مشيئته ، الملائكة جنده المطيعون بفطرتهم : ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، فهو تعالى مع عباده جميعًا بعلمه وإحاطته : ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد : ٤] ، وهو مع المؤمنين خاصة بتأييده ومعونته : ﴿إن اللّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل : ١٢٨] ، الكون كله - عاليه ودانيه - صامته وناطقه ، أحياؤه وجماداته كله خاضع لأمر اللّه ، منقاد لقانونه ، شاهد بوحدانيته وعظمته ، ناطق بآيات علمه وحكمته ، دائم التسبيح بحمده : ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا﴾ [الإسراء : ٤٤] .

إن تسبيح الكون للّه وسجوده للّه ، حقيقة كبيرة ، عميت عنها أعين ، وصمت عنها آذان ، ولكنها تجلت للذين ينظرون بأعين بصائرهم ، ويسمعون بآذان قلوبهم ، إذ هم يرون الوجود كله محرابًا ، والعوالم كلها ساجدة خاشعة ، ترتل آيات التسبيح والثناء على العزيز الحكيم الرحمن الرحيم : ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد : ١٥] .

✱ **الإيمان بالنبوات** : هو فرع عن الإيمان باللّه ، فما كان ليخلق الإنسان ويتركه يتخبط على غير هدى ، فمن تمام الحكمة أن يهديه سبيل الآخرة ، كما هداه سبيل الحياة الدنيا ، وأن يهيئ له زاده الروحي ، كما هيأ له زاده المادي ، وأن ينزل الوحي من السماء ليحيي القلوب والعقول ، كما أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، ما كان بعد الحكمة أن يترك الإنسان لنفسه ، وإنما كانت الحكمة في إرسال رسله بالبينات ليهدوا الناس إلى اللّه ، ويقيموا الموازين بالقسط بين العباد ، ولهذا استنكر رسل اللّه من قومهم أن يعجبوا لإرسال اللّه رسولاً عنه يبلغهم بأمره ونهيه ، فيقول نوح ، عليه السلام : ﴿يا قوم ليس بي ضلالةٌ ولكني رسولٌ من رب العالمين ❁ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من اللّه ما لا تعلمون ❁ أوَ عجبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم تُرحمون﴾ [الأعراف : ٦١- ٦٣] ، ويقول هود ، عليه السلام ، لقومه ما يقرب من هذا المقال ، ويقول القرآن ردًّا على المشركين الجاحدين برسالة محمد صلى اللّه عليه وسلم : ﴿أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحرٌ مبينٌ﴾ [يونس : ٢] .

والهداية بالوحي هي أعلى مراتب الهداية التي منحها اللّه للإنسان ، فهناك الهداية الفطرية الكونية ، وهي التي عبر عنها أحد العلماء حين قيل له : متى عقلت ؟ قال : منذ نزلت من بطن أمي ، جعت فالتقمت الثدي ، وتألمت فبكيت !!

وهذه الهداية ليست خاصة بالإنسان ، بل تشمل الحيوان والطير والحشرات ، وهي التي عبر عنها بالوحي في شأن النحل : ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ [النحل : ٦٨] ، بل هي منبثة في أجزاء الكون كله ؛ في النبات الذي يمتص غذاءه من عناصر الأرض بنسب محدودة وقدر معلوم ، وفي الكواكب التي يسير كل منها في مداره الذي لا يتعداه ، وفق قانون لا يتخطاه : ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس : ٤٠] ، فهي هداية عامة للمخلوقات علويها وسفليها ، ولهذا ذكر لنا القرآن جواب موسى ، عليه السلام ، لفرعون قال : ﴿فمن ربكما يا موسى ❁ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه : ٤٩، ٥٠] .

✱ **والمرتبة الثانية** : للهداية مرتبة الحواس الظاهرة ؛ كالسمع والبصر والشم والذوق ، والباطنة ؛ كالجوع والعطش والفرح والحزن ، وهذه المرتبة أرقى من الأولى ، ففيها

نوع من الانتباه، وقدر من الإدراك، وإن كانت لا تسلم من الخطأ.

✱ **والمرتبة الثالثة**: هداية العقل بملكاته وقواه المختلفة، وهو أرقى رتبة من الحواس، وإن كان كثيرًا ما يعتمد على الحس في الحكم والاستنباط، وبذلك يتعرض للخطأ كما يتعرض له في ترتيب المقدمات، واستخلاص النتائج، والعقل في عملياته العليا من خصائص الإنسان التي تفرد بها عن الحيوان.

✱ **والمرتبة الرابعة**: هي هداية الوحي؛ وهي التي تصحح خطأ العقل وتنفي وهم الحواس، وترسم الطريق إلى ما لا سبيل للعقل أن يصل إليه وحده، وترفع الخلاف فيما لا يمكن أن تتفق عليه العقول: ﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوهُ من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم فهدى اللَّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللَّه يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، والإيمان بالنبوة والرسالة يتضمن في حناياه معاني جديدة، فمعناه الإيمان بحكمة اللَّه البالغة، ورحمته الواسعة، فحكمة الحكيم، ورحمة الرحيم، هما اللتان اقتضتا ألا يترك الناس سدًى، وألا يعذبوا قبل البلاغ والتبشير والإنذار، وألا يُتركوا للخلاف يأكلهم دون حكم يرجعون إليه: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

ومعناه الإيمان بوحدة الدين عند اللَّه، وأنه دين اللَّه في جميع الأماكن والأزمان واحد لا يتغير، وإن تعددت المناهج والشرائع باختلاف الأعصار: ﴿قولوا آمنا باللَّه وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٦].

ويصور رسول الإسلام موقفه من الأنبياء قبله؛ أنه ليس إلا اللبنة الأخيرة في هذا الصرح الكبير، فيقول: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين».

ومعناه الإيمان بمثل عليا إنسانية واقعية، وقدوات بشرية ممتازة، استطاعت أن تجعل من مكارم الأخلاق وصوالح الأعمال، وفضائل النفوس حقائق واقعة، وشخوصًا مرئية للناس، لا مجرد أفكار في بعض الرءوس، أو أماني في بعض النفوس، أو نظريات في الكتب والقراطيس، وجمهور الناس ليسوا فلاسفة يؤمنون بالمجردات، وإنما يؤمنون وينفعلون بما يُشاهدون وما يحسون، لهذا جعل اللَّه الرسل إلى الناس بشرًا مثلهم، لا ملائكةً من غير جنسهم؛ لأن الإنسان لا يأنس إلا لمثله، ولا يقتدي إلا بمثله، ولا تقوم عليه الحجة إلا به، وقد استبعد المشركون أن يكون الرسل بشرًا، وقالوا منذ عهد نوح: ﴿لو شاء ربنا لأنزل ملائكةً﴾ [فصلت: ١٤]، وقالوا في عهد محمد صلى اللَّه عليه وسلم: ﴿أبعث اللَّه بشرًا رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٤]، فرد اللَّه عليهم بقوله: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لبعث اللَّه بشرًا رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٥]. فالأنبياء ليسوا آلهةً وإنما هم بشر مثلنا، منَّ اللَّه عليهم بنعمة الوحي ليبلغوا رسالةَ اللَّه إلى الناس.

✱ **الإيمان بالآخرة**: كيف يسيغ العقل أن ينفضَّ سُوق هذه الحياة وقد نهب فيها من نهب، وسرق فيها من سرق، وقتل فيها من قتل، وبغى فيها من بغى، وتجبر من تجبر، ولم يأخذ أحد من هؤلاء عقابه، بل تستر واختفى، فأفلت ونجا، أو تمكن من إخضاع الناس له بسيف القهر والجبروت!!

وفي الجانب الآخر؛ كم أحسَن قوم، وضحوا وجاهدوا، ولم ينالوا جزاء ما قدموا، إما لأنهم جنودٌ مجهولون، أو لأن الحسد والحقد جعل الناس يتنكرون لهم بدل أن يعرفوا فضلهم، أو لأن الموت عاجلهم قبل أن ينعموا بثمرة ما عملوا من خير، وكم من قوم دعوا إلى الحق، واستمسكوا به، ودافعوا عنه، فوقف الظالمون في طريقهم، وأوذوا وعُذبوا، واضطهدوا وشردوا، وسقطوا صرعى في سبيله وأعداؤهم الطغاة في أمن وعافية، بل في ترف ونعيم، ألا يسيغ العقل - الذي يؤمن بعدالة اللَّه الإله الواحد - بل يطلب أن توجد دار أخرى، يُجزى فيها المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته! هذا ما تنطق به الحكمة السارية في كل ذرة في السماوات والأرض: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ۞ ما

خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ۞ إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ [الدخان : ٣٨ - ٤٠] ، ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار ۞ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ [ص : ٢٧، ٢٨] ، ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ۞ وخلق اللّه السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون ﴾ [الجاثية : ٢١، ٢٢] ، ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] .

أما بعث الأحياء بعد الموت فليس بعزيز على من خلقهم أول مرة : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الروم : ٢٧] ، بهذا الخلق الأول يستدل القرآن على إمكان البعث ، كما يستدل عليه بمظاهر قدرة اللّه في عالم النبات : ﴿ يأيها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ مخلقةٍ وغير مخلقةٍ لنبين لكم ونقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمًّى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ۞ ذلك بأنّ اللّه هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيءٍ قديرٌ ۞ وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن اللّه يبعث من في القبور ﴾ [الحج : ٥ - ٧] .

ويستدل القرآن على إمكان البعث بخلق الأجرام العظيمة في هذا الكون من السماوات والأرض ، وهي - لمن تأمل - أكبر من خلق الناس وأعظم : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاقُ العليمُ ﴾ [يس : ٨١] ، ﴿ أوَ لم يروا أن اللّه الذي خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادرٍ على أن يُحيي الموتى بلى إنّه على كل شيءٍ قديرٌ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] .

وبعد بعث الناس من قبورهم يكون الحساب الدقيق ، والميزان العادل : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن اللّه سريع الحساب ﴾ [غافر : ١٧] ، ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وهناك ينقسم العباد إلى شقي وسعيد : ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ ۞ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعّالٌ لما يريد ۞ وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ [هود : ١٠٦ - ١٠٨] .

والجنة دار هيأها اللّه لمثوبة الصالحين من عباده ، وأعد فيها من النعيم الروحي والمادي ما عبر عنه في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، واقرءوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] .

إن الحياة في الدار الآخرة هي الحياة الحقة ، وإن نعيمها هو النعيم الذي يقصر الخيال البشري عن وصفه ، إنه ليس نعيمًا روحيًا فقط ، ولا نعيمًا ماديًا صرفًا ، وإنما هو مزيج من الأمرين ، ذلك أن الإنسان نفسه ليس روحًا مجردة ، ولا مادة بحتًا ، إنما مركب منهما ، فالإنسان في الآخرة امتداد لإنسان الدنيا ، وإن اختلف الكيف والتفصيل ، فلا عجب أن يكون في الجنة فاكهة ولحم وطيور وحور عين : ﴿ ورضوان من اللّه أكبر ﴾ [التوبة : ٧٢] ، والنار دار أعدها اللّه لعقوبة الفجار من الخلق ، وهي تجمع العقوبتين ؛ المادية والروحية معًا .

فهناك العذاب الحسي : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [النساء : ٥٦] ، وهناك العذاب النفسي الذي يتمثل في الهوان والخزي ، كقوله تعالى لهم : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] . نسأله سبحانه الجنة ، ونعوذ به من النار .

وللحديث بقية إن شاء اللّه .

د / السيد عبد الحليم
محمد حسين

التأخير في دفع الأقساط

زيادة الدين

بقلم أ . د / علي أحمد السالوس

أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة جامعة قطر

من المعلوم أن ربا الجاهلية ربا الديون الناشئة عن بيع آجل . فكان إذا حل الموعد ، وعجز المشتري المدين عن أداء الدين ، تطبق القاعدة الجاهلية المعروفة : (إما أن تقضي وإما أن تربي) . وهذه القاعدة الجاهلية نراها في عصرنا ، حيث يطبقها البائعون الذين لا يلتزمون بأحكام الشريعة الإسلامية . وعادة يطبق سعر الفائدة الذي تأخذه البنوك الربوية .

وأمر هؤلاء معلوم ، والتحريم واضح جلي ، ولكن ماذا يفعل الذين يريدون تحكيم شرع الله عز وجل ؟!

فمن المشكلات الكبرى التي تؤثر في مسيرة المصارف الإسلامية عدم التزام كثير من المدينين بدفع أقساط الديون في مواعيدها المتفق عليها ، وقليل من هؤلاء ذو عسرة ، وأكثرهم يماطلون مع القدرة على الأداء ؛ نظرا لأن المصارف الإسلامية لا تأخذ فوائد التأخير التي يلتزم بها هؤلاء مع البنوك الربوية .

وكثير من المصارف لم تجد علاجا لهذه المشكلة ، ووجدت حلاً جزئيا في اللجوء إلى المزيد من الضمانات ، غير أن بعض المصارف لجأت إلى حلول أخرى نرجو أن يقول المجمع فيها رأيه ، ونذكر منها ما يأتي :

أ- عند عجز المدين (المشتري) عن الدفع ، وعلم المصرف بهذا ، رأى - تقديرا لظروفه ورأفة به - أن يدخل مع هذا المدين في شركة بقيمة الدين . وربما كان هذا التصرف يتعارض مع قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

ب- ومن المصارف ما لجأ إلى إعادة الاتفاق على نسبة الربح ، بحيث تزيد هذه النسبة لصالح المصرف تبعا للزمن الذي يتأجل إليه الدفع .

ولعل هذا مثل إعادة جدولة الديون الربوية . وربما كان فيه شبه من المبدأ الجاهلي : (إما أن تقضي ، وإما أن تربي) .

ولعل هذا الموضوع يحتاج إلى وقفة ، نبين فيها وجهة نظر القائلين بهذا الرأي ، المدافعين عنه ، وأثر هذا في التطبيق العملي .

هل للمصرف مطالبة المدين المماطل بالتعويض ؟

رأى المجيزون أن الغني المماطل أوقع الضرر بالمصرف ، فلولا مماطلته لضم هذا المال فعلا في مدة المماطلة ؛ ولذا أجازوا للمصرف أخذ تعويض بمقدار نسبة الربح التي كان يمكن أن يحققها دين المماطل لو استثمره المصرف ، فمتى تبين المصرف الإسلامي أن المدين المماطل مليء غني أضاف إلى دينه نسبة تعادل النسبة التي حققها خلال مدة بقاء الدين في ذمته .

وقد ناقشت بعض هؤلاء المجيزين ، ووجدتهم يستدلون بثلاثة أحاديث شريفة ، وبالمصلحة المرسلة التي يرون أنها تتفق مع مقاصد التشريع الإسلامي .

والأحاديث الثلاثة هي :

١- « مطل الغني ظلم » .

٢- « لي الواجد يحل عرضه وعقوبته » .

٣- « لا ضرر ولا ضرار » .

والحديث الأول متفق عليه .

قال ابن حجر في « الفتح » (٤/٤٦٦) الباب الأول من كتاب الحوالة : في الحديث الزجر عن المطل ، واختلف هل يعد فعله - عمداً - كبيرة أم لا ؟ فالجمهور على أن فاعله يفسق ، لكن هل يثبت فسقه بمطله مرة واحدة أم لا ؟

قال النووي : مقتضى مذهبنا اشتراط التكرار ، ورده السبكي في « شرح المنهاج » بأن مقتضى مذهبنا عدمه ، واستدل بأن منع الحق بعد طلبه ، وابتغاء العذر عن أدائه ، كالغصب ، والغصب كبيرة ، وتسميته ظلماً يشعر بكونه كبيرة ، والكبيرة لا يشترط فيها التكرار ، نعم لا يحكم عليه بذلك إلا بعد أن يظهر عدم عذره .

والحديث الثاني : « لي الواجد .. » ذكره السيوطي ، وأشار إلى رواته ، وهم : أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم ، ورمز للحديث بالصحة .

وقال المناوي في « فيض القدير » (٥/٤٠٠) : عرضه : بأن يقول له المدين : أنت ظالم ، أنت مماطل ، ونحوه مما ليس بقذف ولا فحش ، وعقوبته : بأن يعزره القاضي على الأداء بنحو ضرب أو حبس حتى يؤدي .

ثم قال : (قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبي ، ولم يضعفه أبو داود) .

والحديث ذكره البخاري تعليقاً ، قال في باب : (لصاحب الحق مقال) من كتاب الاستقراض في صحيحه .

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لي الواجد يحل عقوبته وعرضه » ، قال سفيان : عرضه : يقول : مطلتني ، وعقوبته : الحبس .

وفي « تغليق التعليق » لابن حجر (٣/٣١٨-٣٢٠) ذكر طرقه المختلفة الموصولة ، وقال كما قال في « الفتح » : إسناده حسن .

والحديث الثالث : « لا ضرر ولا ضرار » : ذكر السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٤٦٨) أن الحديث أخرجه مالك والشافعي مرسلاً ، وأحمد وعبد الرزاق وابن ماجه والطبراني - وفيه جابر الجعفي - وابن أبي شيبة من وجه آخر أقوى منه ، والدارقطني من وجه ثالث .

وقال المناوي في « فيض القدير » (٦/٤٣٢) : الحديث حسنه النووي ، وقال : له طرق يقوي بعضها بعضاً ، وقال العلائي : للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به .

والحديثان الأول والثاني ظاهران في ظلم الغني المماطل ، واستحقاقه للعقاب ، وهما مما يحتج به ، والعقوبة هنا تعزيرية ، وذهب الجمهور إلى أن العقوبة هنا هي الحبس ، وإن جاز في التعزير غيره كالضرب والتوبيخ ، ومادام الهدف من العقوبة التعزيرية الردع والزجر وأداء الحقوق ، وليس في العقوبة هنا حد مقرر ، فالأمر إذن فيه متسع أمام القاضي أو ولي الأمر ، فقد يرى في التوبيخ الكفاية ، وقد يرى ضرورة الضرب مع الحبس ، والأمر لا يستدعي كبير خلاف مادام الحكم يصدر من عادل غير محكم للهوى والتشهي .

والحديث الثالث ينهى عن الضرر ، ومن القواعد الشرعية المعروفة أن الضرر يزال ، والمصرف لحقه ضرر ، فيجب أن يزال .

ومن المعروف أن الدائن ليس له إلا دينه ، سواء أخذه وقت استحقاقه أم بعد مدة المطل ، وما أجاز أحد من الفقهاء أن يدفع المدين قدراً زائداً عن الدين

كعقوبة تعزيرية ، ولو قيل : يدفع مقابل الزمن فهو عين الربا .

قال المجيزون : إن المصلحة تقتضي منع المماطل من استغلال أموال المسلمين ظلمًا وعدوانًا ، وإذا كانت الفائدة الربوية تمنع المطل مع البنوك الربوية ، فإن الإسلام لا يعجز عن أن يوجد حلاً لمشكلة المطل التي تعاني منها المصارف الإسلامية ، وإذا كان الفقهاء السابقون رأوا أن تكون العقوبة الحبس - وهذا غير مطبق الآن - فعلى فقهاء العصر أن يجتهدوا لإيجاد الحل .

ثم أضافوا : والقدر الذي نرى أن يتحمله المماطل هو ما يقابل الربح الفعلي للمصرف ، فهذا ليس من باب الربا ، ولكنه من باب منع الضرر الذي يلحق بالمصرف .

وربما كان من الصعب التفرقة بين ما ذهب إليه هؤلاء وبين الربا .

ويبقى هنا كذلك أن نسأل : ما الهدف من العقوبة التعزيرية ؟ ومن الذي يحدد هذه العقوبة ؟ ومن الذي يأمر بإيقاعها ؟ أو يقوم بتنفيذها ؟ أفيمكن أن يكون شيء من هذا للمصرف ؟

لو جاز أن يكون للمصرف استحداث عقوبة تعزيرية يوقعها بالعميل ، وهي تشتبه بالربا ، إن لم تكن هي الربا بعينه ، فمن باب أولى أن يكون له الحق في العقوبة التعزيرية المقررة كالحبس أو الضرب .

ونأتي إلى الجانب التطبيقي لنرى : هل تحقق الهدف من هذه العقوبة ؟

بعض المصارف رأت أن المتعاملين معها الذين لا يؤدون الأقساط في مواعيدها بلغوا من الكثرة حدًا يصعب معه النظر في كل حالة ، والتفرقة بين مطل الغني وعجز الفقير - كما توجد عوامل أخرى تزيد الأمر صعوبة - ولذلك عند تأخر أي مدين عن الأداء يضاف على دينه ما يقابل الربح الذي يعلنه المصرف في حينه ، ولا يستطيع أحد أن يفرق بين هذا وبين الربا المحرم .

وقد يقال : إن هذا خطأ في التطبيق لا في الفتوى ، ولكن على المفتي أن ينظر إلى ما يمكن تطبيقه .

وبعض المصارف الأخرى تمسكت بنص الفتوى ، فكانت ترسل للعميل أولاً حتى تتأكد من المطل قبل إنزال العقوبة ، ويلاحظ هنا أن الأرباح التي تحققها المصارف الإسلامية أقل من الفوائد الربوية في أوقات كثيرة ؛ فالذين يستحلون هذه الفوائد استمروا في مطلهم غير عابئين بما يضيفه المصرف الإسلامي ، وبذلك تحولت العقوبة التعزيرية إلى زيادة ترتبط بربح المصرف والزمن ، ورضي بهذا الطرفان .

فهل تحقق الهدف من العقوبة التعزيرية ؟ أم تحولت العقوبة إلى نوع جديد من الربا ؟

حول الأقساط قبل موعدها :

المصارف الإسلامية التي لا تأخذ بالنظام السابق - حيث لم تجزه هيئات الرقابة الشرعية لديها - رأت أن اتخاذ الإجراءات ضد المدين المماطل يكلفها الكثير ، فنصت في عقود البيع على أن المشتري إذا تأخر في دفع قسطين متتالين فإن باقي الأقساط تحل فورًا ، ويحق للمصرف المطالبة بجميع الأقساط ، واتخاذ ما يراه لازمًا للوصول إلى حقه .

اللجوء إلى التحكيم :

ورأت هذه المصارف كذلك أن تلجأ إلى التحكيم لرفع الضرر ؛ فيختار المصرف حكمًا ، ويختار المشتري حكمًا ، ويختار الحكمان حكمًا ثالثًا ، وينظر المحكمون في الموضوع من جميع جوانبه ، ويكون حكمهم ملزمًا للطرفين غير قابل للنقض ، سواء أصدر بالإجماع أم بالأغلبية .

ضع وتعجل :

يلجأ بعض التجار إلى ما يعرف في الفقه الإسلامي باسم : ضع وتعجل ، والمراد من ضع

وتعجل التنازل عن جزء من الدين المؤجل ، ودفع الجزء الباقي في الحال .

ورُوي أن ابن عباس سُئل عن الرجل يكون له الحق على الرجل إلى أجل فيقول : عجل لي وأضع عنك ، فقال : لا بأس بذلك .

ورُوي أيضًا أن ابن عباس قال : إنما الربا : أخر لي وأنا أزيدك ، وليس : عجل لي وأضع عنك . [انظر : « مصنف عبد الرزاق » (٧٢/٨)] .

ويذكر أن الذين أجازوه كذلك هم : النخعي ، وهو من التابعين ، توفي سنة ٩٦ هـ ، وزفر ، من أصحاب أبي حنيفة ، توفي ١٥٨ هـ ، وأبو ثور ، من أصحاب الشافعي ، وتوفي سنة ٣٤٠ هـ . [انظر : « المغني » (١٧٤/٤) ، و« بداية المجتهد » (١٤٣/٢) ، والأول ذكر النخعي وأبا ثور ، والآخر ذكر زفر ، وراجع ترجمة الثلاث في كتب الرجال] .

أما الذين لم يجيزوا : (ضع وتعجل) ، فهم عامة الصحابة والتابعين ، رضي اللّه عنهم ، والأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء .

ومما رواه الحافظ عبد الرزاق (المتوفى سنة ٢١١) في « مصنفه » تحت باب (الرجل يضع من حقه ويتعجل) ما يأتي :

أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب وابن عمر قالا : من كان له حق على رجل إلى أجل معلوم ، فتعجل بعضه وترك له بعضه فهو ربا ، قال معمر : ولا أعلم أحدًا قبلنا إلا وهو يكرهه .

عن الثوري عن ابن ذكوان عن بسر بن سعيد عن أبي صالح مولى السفاح قال : بعت بزًا إلى أجل ، فعرض عليَّ أصحاب الدين أن يعجلوا لي وأضع عنهم ، فسألت زيد بن ثابت عن ذلك فقال : لا تأكله ولا تؤكله .

أخبرنا ابن عيينة عم عمرو بن دينار قال : أخبرني أبو المنهال عبد الرحمن بن مطعم قال : سألت ابن عمر عن رجل لي عليه حق إلى أجل ، فقلت : عجل لي وأضع لك ، فنهاني عنه ، وقال : نهانا أمير المؤمنين أن نبيع العين بالدين .

أخبرنا إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن قيس مولى ابن يامين قال : سألت ابن عمر ، فقلت : إنا نخرج بالتجارة إلى أرض البصرة وإلى الشام ، فنبيع بنسيئة ثم نريد الخروج ، فيقولون : ضعوا لنا وننقدكم ، فقال : إن هذا يأمرني أن أفتيه أن يأكل الربا ويطعمه ، وأخذ بعضدي ثلاث مرات ، فقلت : إنما أستفتيك ، قال : فلا .

أخبرنا ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : قلت للشعبي : إن إبراهيم قال في الرجل يكون له الدين على الرجل فيضع له بعضًا ويعجل له بعضًا : إنه ليس به بأس ، وكرهه الحكم بن عتيبة ، فقال الشعبي : أصاب الحكم ، وأخطأ إبراهيم . [راجع « المصنف » : (٧١/٨ - ٧٥)] .

والإمام مالك ، رضي اللّه عنه ، تحدث عن هذا الموضوع في « الموطأ » ، فجعله تحت باب : (ما جاء في الربا في الدين) ، ونقرأ في هذا الباب ما يأتي :

عن أبي الزناد ، عن بسر بن سعيد ، عن عبيد أبي صالح مولى السفاح أنه قال : بعت بزًا لي من أهل دار نخلة إلى أجل ، ثم أردت الخروج إلى الكوفة ، فعرضوا عليَّ أن أضع عنهم بعض الثمن ، وينقدوني ، فسألت عن ذلك زيد بن ثابت ، فقال : لا آمرك أن تأكل هذا ولا تؤكله .

عن عثمان بن حفص بن خلدة ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد اللّه ، عن عبد اللّه بن عمر ، أنه سُئل عن الرجل يكون له الدين على الرجل إلى أجل ، فيضع عنه صاحب الحق ويعجله الآخر ؟ فكره ذلك عبد اللّه بن عمر ، ونهى عنه .

عن زيد بن أسلم ، أنه قال : كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل الحق على الرجل الحق إلى أجل ،

فإذا حل الأجل ، قال : أتقضي أم تربي ؟ فإن قضى أخذ ، وإلا زاده في حقه ، وأخر عنه في الأجل .

قال مالك : والأمر المكروه الذي لا اختلاف فيه عندنا ، أن يكون للرجل على الرجل الدين إلى أجل ، فيضع عنه الطالب ويعجله المطلوب ، وذلك عندنا بمنزلة الذي يؤخر دينه بعد محله عن غريمه ويزيده الغريم في حقه ، قال : فهذا الربا بعينه ، لا شك فيه . [راجع الباب في كتاب البيوع من « الموطأ »] .

وابن رشد الحفيد يبين سبب الخلاف ، فيقول في « بداية المجتهد » (١٤٤/٢) : وعمدة من لم يجز : (ضع وتعجل) أنه شبيه بالزيادة مع النظرة المجتمع على تحريمها ، ووجه شبهه بها أنه جعل للزمان مقدارًا من الثمن بدلاً منه في الموضعين جميعًا ، وذلك أنه هنالك لما زاد له في الزمان زاد له عوضه ثمنًا ، وهنا لما حط عنه الزمان حط عنه في مقابلته ثمنًا ، وعمدة من أجازه ما روي عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بإخراج بني النضير ، جاءه ناس منهم ، فقالوا : يا نبي الله ، إنك أمرت بإخراجنا ، ولنا على الناس ديون لم تحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضعوا وتعجلوا » ، فسبب الخلاف معارضة قياس الشبه لهذا الحديث . اهـ .

ولعل الصواب مع الذين لم يجيزوا ضع وتعجل للأسباب الآتية :

١ - الحديث الذي استدل به - مع اشتهاره - غير ثابت ، قال الحافظ ابن كثير : روى البيهقي وغيره أنه كانت لهم - أي : لبني النضير - ديون مؤجلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضعوا وتعجلوا » ، وفي صحته نظر . والله أعلم . [« البداية والنهاية » : (٧٥/٤)] .

وفي « سنن البيهقي » (٢٧/٦) نجد باب (من عجل له أدنى من حقه قبل محله فيقبله . ووضع عنه ، طيبة به أنفسهما) ، وتحت الباب يذكر بسنده أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن يظله الله في ظله فلينظر معسرًا ، أو ليضع عنه » ، وحديثًا آخر : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينظر معسرًا ، أو ليضع عنه » .

ثم يذكر أن ابن عباس كان لا يرى بأسًا أن يقول : أعجل لك وتضع عني ، قال : وقد روى فيه حديث مسند في إسناده ضعف ، وذكر هذا الحديث الضعيف .

وبعد الباب السابق يأتي باب : (لا خير في أن يعجله بشرط أن يضع عنه) (٢٨/٦) ، وتحت الباب ذكر عدة أخبار تتفق مع روايات عبد الرزاق التي أثبتناها من قبل .

٢ - لو صح الحديث يمكن أن يدل على حكم خاص لا يقبل التعميم ، فالأمر هنا لليهود ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا ۝ وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ [النساء : ١٦٠، ١٦١] .

فما يضعونه قد يكون من الربا ، ومن أموال الناس التي أكلوها بالباطل ، وهذا لا ينطبق على المسلمين .

٣ - ابن عباس ، رضي الله عنهما ، حبر الأمة وترجمان القرآن ، ولكنه عندما يجتهد وينفرد بالرأي دون الصحابة الكرام ، فقد لا نجد حرجًا في عدم الأخذ برأيه ، ولذلك خالفه التابعون ، والأئمة الأعلام .

٤ - قد لا نجد فرقًا بين أن يأخذ الدائن مائة لتأجيل ألف ، وأن يعطي مائة لتعجيل ألف ، والحالة الثانية في حقيقتها هي : (ضع وتعجل) ، ولذلك كان قول الإمام مالك : فهذا الربا بعينه ، لا شك فيه .

وللحديث بقية إن شاء الله .

* * *

واقدساه

بقلم : سليم شلبي

صبح وليل بل وأمس وغد   وقع الحجارة كالقضاء مؤكد
ترمي عدوّاً غاصباً متبجحاً   فأقول : هيا يا رجال جاهدوا
هيا بنا ببيعة ميمونة   قد شادها عمرو الذكي وخالد
فالقدس أولى القبلتين حبيسة   عن أهلها محمومة تستنجد
والصخرة الرمز تئن وتشتكي   فيرجع الشكوى كذاك المسجد
صلى بها المبعوث ليلة سعده   بشرى لها هذا النبي الأحمد
يا ثورة الأحجار كوني ماردًا   يقوى على غدر العدا ويعاند
هذا الفتى مع أخته وصديقه   قد أوثقوهم بالحبال وقيدوا
والكل في صدق يقوي عزمه   والأم تدفع طفلها والوالد
إن الذي يسقي الشعوب مرارة   لا شك يسقي من مساوئه غد
قعقاعنا ولى وزيد قبله   فبكى عليهم عزنا والسؤدد
واليوم عادوا في فلسطين التي   تحمي عرين العرب دومًا تشهد
إن انبعاث الفجر آت أبلج   مهما غشانا ليل داج أسود
قدر الحجارة سوف يوقظ أمة   ويقرب الأشتات مهما باعدوا
فالعبد يرضى بالدنية سالمًا   والموت عند الحر عذب بارد

* * *

باب التراجم

من أعلام الدعوة

جمع وترتيب

فتحى أمين عثمان

وكيل عام الجماعة

الشيخ / محمد الحاج علي

١٣٣٢ - ١٤١٨ هـ / ١٩١٢ - ١٩٩٧ م

اسمه : محمد علي بن الحاج علي .

مولده : ولد بقرية البتانون ، محافظة المنوفية ، في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر ١٩١٢م .

حفظ القرآن الكريم والتحق بالأزهر ، ثم تخرج من كلية الشريعة ، وتوج جهوده العلمية بالحصول على العالمية العالية مع الإجازة في التدريس .

عين مدرسًا للغة العربية بالمدارس الثانوية ، ثم ناظرًا ، وكانت وظيفته سببًا في أن يتنقل بين كثير من المحافظات معلمًا ومربيًا ، كما كان ذلك طريقًا لأن ينشر دعوة أنصار السنة المحمدية ، وأن يلتقي برجالها بالإسكندرية ، ثم إدكو ، فدمنهور بالبحيرة ، ثم منوف ودنشواي بالمنوفية ، واستقر آخر المطاف في مسقط رأسه البتانون منوفية .

نشأ الشيخ محمد الحاج علي ، رحمة الله عليه ، في قرية تكاد كلها تدين بالصوفية فكرًا وسلوكًا عقيدة وشريعة ، وظل متحيرًا بين ما يراه وما يقرأه في الكتب من صحيح الدين والاعتقاد ، وفي ليلة مباركة رأى رؤيا صالحة قادته إلى أن يعتنق صحيح الكتاب والسنة ، وأخذ يجلس للناس في المساجد والأماكن العامة يدعوهم إلى التوحيد الخالص ، وإلى تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد مع الالتزام بالكتاب والسنة منهجًا وعملاً ، ونبذ ما كانت تدعو إليه الصوفية من بدع وضلالات ومواكب وموالد ، وفي بلد كان أكثر أهله يدينون بالتصوف لا بد أن يتعرض لكثير من الحروب من أعداء الدين الخالص ، فقامت ضده حرب لا هوادة فيها ، ولكنه تمسك بالحق ، وظل صابرًا مجاهدًا يقول الحق ولا يخشى في اللَّه لومة لائم ، وبعد جهاد كبير استجاب له فريق قليل من الشباب ، كما هو شأن أتباع دعوة أنصار السنة في ذلك الحين ، ولقد استطاع بعد فترة من الزمن أن يؤسس فرعًا لأنصار السنة المحمدية بالبتانون ، وكان ذلك عام ١٩٤٧م ، أي في حياة

مؤسس الجماعة الشيخ حامد الفقي ، الذي كان يذهب إلى البتانون ويلقي فيها محاضرات ، تعرض فيها هو ومن ناصروه إلى الاضطهاد والأذى ، وكان ساعده الأيمن في نشر الدعوة في منطقة البتانون وما حولها .

وإذا كان الشيخ عبد الغفار المسلاوي ، رحمه الله ، كان قد نشر الدعوة في منطقة قويسنا وما جاورها ، وكذلك ابن راشد قد نشر الدعوة في منطقة دمنهور وما جاورها ، فإن الشيخ محمد الحاج علي لم يقتصر نشاطه على منطقة دمنهور، بل تعداها إلى الإسكندرية ، حيث كان يعمل فيها ، فتعرف على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، رحمه الله ، الذي كان زميلاً له بالأزهر أثناء دراسته به ، كما تعرف على فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم ، وكثير من رجالات الدعوة بالإسكندرية ، وأمضى معهم سنوات يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان يلقي الخطب والدروس بمساجد أنصار السنة بالإسكندرية .

ولم يقتصر نشاطه على الإسكندرية ، فبعد أن نقل إلى إدكو سار سيرته الطيبة وأدى واجبه نحو ربه داعية ملتزماً بمنهج سلف هذه الأمة ، ولا ننسى أنه عندما نقل إلى دمنهور سعى إلى لقاء الشيخ محمد أبو علو وعاونه على نشر دعوة أنصار السنة المحمدية بعد رحيل ابن راشد إلى الإسكندرية .

عود على بدأ : عاد الشيخ إلى بلدته ولم يكتف بما أداه من دعوة في الإسكندرية وإدكو ودمنهور ، مما كان له أثر طيب في نشر الدعوة ، بل إنه بدأ من جديد رحلة جهاد كبرى دامت عشرات السنين نشر خلالها العلم الصحيح والفهم الواضح للعقيدة ، وعلم الناس أصول التوحيد .

ومن خلال مسجد الجماعة التي أنشأ في البتانون استطاع الشيخ رحمه الله بما أوتي من علم وتمكن من اللغة ومعرفة بمقاصد الشرع من القضاء على المفاهيم الخاطئة لدى كثير من المسلمين ، فتوجهت أنظارهم نحو معرفة الدين الخالص من كل شائبة ، فكان لمحاضراته وخطبه التي اتسمت بالموضوعية والحجة البالغة ، والدليل القوي من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة أن قضى على كثير من مظاهر الوثنية المتمثلة في عبادة القبور وأصحاب الموالد ، وصار الناس على بصيرة بأمور دينهم ، وعلى دراية بأمور الحلال والحرام ، ولم يقف الأمر عند الخاصة ، بل أصبح العوام من الناس يعرفون الفرق بين التوحيد والشرك .

ولقد كان عف اللسان ، لا يقابل الإساءة بمثلها ، بل كان يتبع السيئة الحسنة ، وكان لا يحب أن يسمع وشاية أحد من الناس ، فإذا بلغه أمر من ذلك أعرض عنه ، وقال : سامحهم الله .

وبالرغم من حصوله على شهادة العالمية العالية من الأزهر لم يكتف كعموم الناس بما ناله من تعليم في الأزهر ، بل أخذ يقرأ في كتب علماء أهل السنة ، من أمثال ابن تيمية ، وابن القيم ، رحمهما الله ، تلك الكتب التي كان يقوم بطبعها في تلك الفترة الشيخ محمد حامد الفقي .

ونُشرت له مقالات في مجلة الهدي النبوي بعنوان : (بين النفاق والأماني) .

ترك الشيخ مكتبة كبيرة من الخطب والأشرطة المسجلة يقوم أهله اليوم بمحاولة نشرها أو إعدادها للنشر ، وقد سمعت أن له بعض الموضوعات كانت تستغرق عدة خطب في الموضوع الواحد .

توفي ، رحمه الله ، يوم الأحد ٣٠ من شهر رجب ١٤١٨ هـ / ٣٠ من شهر نوفمبر ١٩٩٧م في الساعة العاشرة صباحاً ، وقد صلى الناس عليه بالمسجد الكبير للجماعة .

وشيعه الآلاف في مشهد مهيب لم تعرفه البتانون من قبل ، فكان مدرسة للعلم حملت على أعناق الرجال ، تغمده الله بواسع رحمته جزاء ما أدى .

هذا هو الطريق

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، ثم أمّا بعد ،

إن العبد الحقيقي للّه تبارك وتعالى هو الذي يسعى دائمًا لكمال إيمانه ؛ لأنه يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، لذا فهو يجتهد على نفسه دائمًا أن يكيف هواه تبعًا لما جاء به الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، فهو لا يتحرك بهواه ، ولا بنتاج عقله ، ولا بعادة قومه ، وإنما يقوم ويقعد باللّه وللّه ومع اللّه متنقلاً في منازل العبودية بين أدلة الوحيين بفهم سلف الأمة ، رضوان اللّه تعالى عليهم ، غرضه في ذلك تتبع مرضاة اللّه عز وجل أينما كان ، طامعًا أن يصل إلى الأفضل(١) .

العبادة وهي العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته ، وقد بيّن ذلك الإمام ابن القيم ، رحمه اللّه ، في كلمات طيبة حيث قال : من لم يكن وقته للّه وباللّه فالموت خير له من الحياة ، وإذا كان العبد وهو في الصلاة ليس له من صلاته إلا ما عقل منها ، فليس له من عمره إلا ما كان فيه باللّه وللّه .

قلت : أما أن يكون الوقت للّه فهو استنفاد العمر في العبادة على تنوعها حتى لا يكون للشيطان منه نصيب ، ومن فعله فقد حقق قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ ، وأما أن يكون الوقت باللّه فهو ألا تشغل وقتك إلا بعبادة تناسبه ، تستوحيها من الشرع الحنيف ، ومن فعله فقد حقق قوله : ﴿ وإياك نستعين ﴾ .

فأفضلها عند جهاد العدو جهاده ، ولو آل ذلك إلى ترك قيام الليل وصيام النهار ، قال تعالى : ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن علمَ أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل اللّه وآخرون يقاتلون في سبيل اللّه فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وأفضلها عند نزول الضيف القيام بحقه ؛ لقول النبي صلى اللّه عليه وسلم : ((إن لزورك عليك حقًا)) . رواه مسلم .

وأفضلها عند سماع الأذان أن تترك ما أنت فيه من ذكر ، وأن تجيب المؤذن لقول النبي صلى اللّه عليه وسلم : ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول)) . رواه مسلم .

وأفضلها عند أوقات الصلوات المبادرة إلى الجامع والنصح في أدائها على أكمل وجه ؛ لقول اللّه تعالى : ﴿ رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر

من لم يكن وقته للّه وباللّه فالموت خير له من الحياة ، وإذا كان العبد وهو في الصلاة ليس له من صلاته إلا ما عقل منها ، فليس له من عمره إلا ما كان فيه باللّه وللّه

كتبه / أبو بكر بن محمد بن الحنبلي
أوقاف خورفكان - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ [النور : ٣٧] .

وأفضلها عند السَّحر تلاوة القرآن والدعاء والاستغفار والصلاة لقول الله تعالى : ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ [آل عمران : ١١٣] ، ولقوله : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات : ١٨] .

وأفضلها عند ضرورة المحتاج إغاثته بالجاه أو البدن أو المال ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني » . رواه البخاري .

وأفضلها عند لقاء أخيك التسليم عليه ، ولو أدى إلى قطع الذكر ، وأفضلها عند مرضه أو موته عيادته وتشييع جنازته ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » . متفق عليه .

وأفضلها عند إيذاء الناس لك أداء واجب الصبر ، مع خلطتك لمجتمعهم دون الهرب منه ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » . رواه ابن ماجه ، وهو حسن ، وصححه الألباني

> من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجا فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف فهو حروري ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد .

هذا في أذية نفسك ، أما إذا خفت منهم على دينك ، فأفضل العبادة اعتزالهم ، إذ خُلْطتهم في الشر شر ، ودين المرء رأس ماله ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا » . وشبك بين أصابعه ، قال : قلت : يا رسول الله ، ما تأمرني ؟ قال : « عليك بخاصة نفسك ، ودعك عنك عوامهم » . رواه ابن حبان ، وهو صحيح .

وأختم هذه المقالة بحديثين وكلمات لأحد سلفنا الصالح وسورة من القرآن .

الحديث الأول : نموذج صحابي عرف الطريق فلزمه .

الحديث الثاني : منهاج عظيم يثبتك الله به على الطريق حتى تلقاه ما دمت عاملاً به .

الكلمات السلفية : تتسبب في الأخذ بيدك لهداية الدلالة والإرشاد .

والسورة القرآنية : قال فيها الإمام الشافعي ، رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .

بل صحَّ أن الرجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر . [كذا في « تفسير القرآن العظيم » للحافظ ابن كثير (ج٤) تفسير سورة العصر ، بتصرف يسير] .

الحديث الأول : نموذج ممن عرف فلزم : روى الإمام الطبراني في « الصغير » بسند قوي لشواهده عن عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنك لأحب إليَّ من نفسي ، وإنك لأحب إليَّ من أهلي ومالي ، وأحب إليَّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا حتى نزل جبريل ، عليه السلام ، بهذه الآية : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ [النساء : ٦٩] .

الحديث الثاني ؛ منهاج عظيم : عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلِّم من يعمل بهن ؟ » فقال أبو هريرة : فقلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدي فعد خمسًا وقال : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ، ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .

الكلمات السلفية : من عبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف فهو حروري ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد .

السورة القرآنية : ﴿ والعصر ۞ إن الإنسان لفي خسر ۞ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ١-٣] .

وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) « مدارج السالكين » (٨٨/١) .

آفة العلم : الهوى

الحلقة الثانية

فضيلة الشيخ / سليمان بن عبد الله الماجد
(القاضي برئاسة مجمع محاكم الإحساء بالمملكة العربية السعودية)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد :

فنكمل في هذه الحلقة ما بدأناه آنفًا من عرض لآفة الهوى وطرق علاجها :

● **الخامس** معرفة العلامات والاستجابة للنذر .

أما معرفة العلامات فإنها من الأهمية بمكان لا يخفى ؛ فالطبيب لا يعرف علة نفسه ولا علة مريضه إلا بعلامات وأعراض ، فإذا شخص الداء استطاع أن يعقبه بالعلاج المناسب لهذا المرض ، وهذه بعض أعراض مرض الهوى وعلاماته :

١- أن يكون معيار الرضا والسخط عند صاحب الهوى هو محبة الدنيا ؛ فمثلاً تراه يكره إنسانًا ويزعم أن هذا الكره لله ؛ فإذا أحسن إليه هذا المكروه بإحسان انقلب ذمه مدحًا رغم أن هذا المكروه نفسه لم يغير من حاله شيئًا . والعكس في هذا صحيح ، حيث يظل راضيًا محبًا مادحًا ؛ فإذا اختلف مع صاحبه في شيء من حظوظ الدنيا عاد مدحه ذمًا ؛ فلله كم يفعل الهوى بأصحابه ؟

قال الله عز وجل في شأن المنافقين : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ [التوبة : ٥٨] .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، وعبد القطيفة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط)) .

٢- قلة الإنصاف وتعدد مقاييس صاحب الهوى في العلاقة مع الناس ، وهذا يبدو في صور منها ؛ أن صاحب الهوى يرى أن الكلام السيئ المنقول له عن محبوبه إنما هو ضرب من الإشاعات والنكايات والحسد ، وأن الأمر يحتاج هنا إلى تثبت وتبين ، وأما المنقول عن غيره فهو ضرب من المسلمات التي لا جدل فيها ؛ رغم أن الناقل في الحالين قد يكون واحدًا .

أن الكلام عن المحبوب في غيبته ضرب من الغيبة أو البهتان ، وتسري عندها في جسده رعشة الخوف من الله ، فيبادر إلى الإنكار ، فإن الكلام في غيره - حتى ممن له حق وحرمة - لم يبال بما يقال عنه ، بل ربما شارك مع الخائضين بكلام أو ضحك أو سكوت .

أن يرتكب من يكرهه خطأ يراه جسيمًا عظيمًا ؛ فإن فعله محبوبه تلمس له أنواع المعاذير والمخارج .

ومن تعدد مقاييس صاحب الهوى ما يكون في المسائل العلمية ؛ فمن المسائل - عنده - ما يوجب الغضب الشديد والهجر والمفاصلة وإخراج المخالف من أهل السنة ورميه بالبدعة ؛ بل والمروق من الدين أحيانًا ، ويزعم أن هذا كله حمية للحق ، ودفاعًا عن حياض السنة ، وهو لا يعطي الأحوال المماثلة الحكم نفسه .

يقول الإمام ابن تيمية ، رحمه الله ، في هذا المقام : (وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه ؛ فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ؛ بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له أنه هو السنة وهو الحق وهو الدين) . ((منهاج السنة)) (٢٥٦/٥) .

٣- التبرم بالناصحين ؛ فإن سكران الهوى لا يحب الإفاقة منه إلى الواقع الذي يراه أليمًا مرًا ، فيكره الناصح ويفرك المحتسب ؛ فإن نصحه ناصح ظن به أسوأ الظنون ، أما المتجرد عن الهوى المحب للحق وأهله ،

فيشكر كل ناصح ويحب كل من أهدى إليه عيوبه .

٤- الكبر : فهو من أعظم علامات الهوى ، قال الله عز وجل : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

فكانت سلسلة حلقاتها مترابطة : أولها الهوى ، الذي أدى إلى الكبر ، ثم انتهت هذه السلسلة إلى غاية قصد الشيطان ومراده : رد الحق ومحاربة الداعين إليه بالتكذيب والقتل .

ولو أن النفس اضمحلت حظوظها عند مرادات الله ورسوله لما تكبرت ، ولتواضعت للخلق وأخبتت للحق ، فالكبر صار علامة على تمكن الهوى من نفس صاحبه .

وللكبر مظاهر وأعراض ؛ منها غمط الناس ورد الحق ، ومنها ؛ أنه يحب أن يزار ولا يزور ، وأن يُثنى عليه ولا يثني على أحد ، وأن يكون متبوعًا لا تابعًا ، وأن يتعلم الناس منه ، ولا يتعلم من أحد ، وأن ينصح للناس ، ولا يقبل النصيحة من أحد .

٥- عدم الرجوع إلى الحق عند ظهوره ؛ قال الله عز وجل : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ [القصص : ٥٠] ؛ فكان إعراض المشركين بسبب الهوى .

ومثل ذلك قول الله تعالى : ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون ﴾ [المائدة : ٧٠] .

وأخطر أحوال عدم الرجوع إلى الحق حين يكون ذلك في مجالات العلم ؛ فيعظم على المنتسب إلى العلم أن يرجع عن قول قال به ، أو أن يعيد النظر في مسألة قررها خوفًا على جاهه ومكانته عند العامة الذين لا يعذرون العالم إذا أعاد النظر في فتواه .

ولعلك تلحظ أن العالم كلما زاد رسوخًا كلما كان أقرب إلى الرجوع عن بعض آرائه وفتاواه ؛ لأن العلم يتجدد والمدارك تتسع مع المناظرة والمخالطة ، ويظل حتى وهو إمام الدنيا وجبل العلم يبحث عن العلم ويناظر العلماء ؛ فيثمر ذلك تغير في بعض آرائه .

وتأمل ذلك في أحوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وفحول العلماء بعدهم ؛ كيف إن الواحد منهم يروى عنه في مسألة واحدة قولان أو أكثر ، وهذا يكون منهم في مسائل كثيرة ، ومعظم هذا الاختلاف إنما هو من تغير الرأي لا من الخطأ في النقل .

٦- تعظيم صاحب الهوى لمن يعظمه وإن كان لا يستحق ذلك ، وتحقيره لمن لا يعظمه وإن كان يستحق التعظيم : فترى بعض الناس يعظم أراذل الخلق ، ويقدمهم في مجلسه وحديثه ولحظه ، وما دفعه إلى ذلك إلا إطراؤهم له ، ولو انقطع ذلك لانقطع هذا التعظيم ، وفي المقابل ؛ فإنه لا يعطي أناسًا آخرين حقوقهم الدنيا ؛ لأنهم لا يتملقونه بقول ولا فعل .

ولكن المتجرد عن الهوى يعظم الناس بقدر ما فيهم من الخير والصلاح لا بقدر ما بذلوا له من التعظيم والإطراء ؛ لأن همه الدين لا عبادة نفسه .

٧- العصبية للوطن والحزب والمذهب والقبيلة ونحو ذلك ؛ وكانت هذه مظهرًا من مظاهر الهوى ؛ لأن العصبية لهذه الأشياء تورث نصرة من تُعصب له ، فكانت العصبية قبلة لأهل الأهواء في كل زمان ومكان .

وانظر إلى آثار العصبية للطائفة والحزب في تصنيف الناس إلى من يُقبل قوله ومن لا يقبل ، وأن المعيار في ذلك - عند صاحب الهوى - هو الحزبية والطائفية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله : (وإنك تجد كثيرًا من المنتسبين إلى علم ودين لا يكذبون فيما يقولون ، بل لا يقولون إلا الصدق ، لكن لا يقبلون ما يخبر به غيرهم ؛ بل يحملهم الهوى والجهل على تكذيب غيرهم وإن كان صادقًا ؛ إما تكذيب نظيره ، وإما تكذيب من ليس من طائفته) .

٨- الإعجاب بالرأي ؛ فإن أصل الهوى : تعظيم النفس ، والنظر إليها بعين الكمال ، فيظهر هذا العرض على صاحب الهوى لهذا السبب ؛ فلا يرى حسنًا صوابًا إلا رأيه .

لذلك ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في المهلكات حين قال : ((وثلاث مهلكات ؛ شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه)) .

وللحديث بقية إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم
مسابقة التوحيد الكبرى

(الدرجة النهائية : ١٠٠ درجة) **(الزمن : ٨٥ يومًا)**

أولاً : الهدف من المسابقة :

١- الحث على طلب العلم ، والمنافسة في تحصيله .
٢- تنمية القدرات والمهارات الذاتية .
٣- تنويع المعارف وتوسيع المدارك .
٤- القضاء على الفجوة الواسعة ، والداء المنتشر بين المسلمين : وهو حب اقتناء وتملك كتب العلوم الشرعية والمجلات الإسلامية ، دون قراءتها والانتفاع بها ، حتى أصبحت كنزًا لا تؤدى زكاته !!

ثانيـاً : الأسئلة :

١- ما هي الفروق التي يتميز بها أهل السنة والجماعة عن غيرهم من فرق الأمة .. (٥ درجات) .

٢- ما هي الفروق التي بين كل من - تكتب الإجابة في جداول -:
حبُ الأولياء وعبادتهم ، الكرامات الربانية والخوارق الشيطانية ، أسماء اللّه وصفاته ، آدم وعيسى عليهما السلام ، النبي والرسول ، الحديث النبوي والحديث القدسي ، الغزوة

والسرية . شهيد الدنيا وشهيد الآخرة ، القرآن والقراءات ، البخاري ومسلم .. (٢٥ درجة) .

٣- في القرآن الكريم (أمر ونهي) : (١٠ درجات) .

- أمر بالموت ! ونهي عن الموت !
- أمر بالصيد ! ونهي عن الصيد !
- أمر بالسؤال ! ونهي عن السؤال !
- أمر بالفرح ! ونهي عن الفرح !
- أمر بالأكل ! ونهي عن الأكل !

اذكر الآيات القرآنية الدالة على الأوامر والنواهي المذكورة ؟

٤- ما هو الوضوء الشرعي الصحيح الذي لا تصح به الصلاة ؟ (درجتان) .

٥- إمام ومأموم يؤمران بسجود السهو قبل السلام ، مع أنه لم يصدر منهما سهو في الصلاة ؟ (٣ درجات) .

٦- متى تجوز صلاة الصبح قبل طلوع الفجر ، وصلاة المغرب قبل غروب الشمس يقظة لا منامًا ، وحقيقة بغير تأويل ؟ (٤ درجات) .

٧- رجل ذبح أضحيته بعد شروق الشمس بخمس دقائق ، فهل هذا جائز ؟ وهل تجزئ الأضحية أم يذبح غيرها ؟ (درجتان) .

٨- ميت لا يدفن حتى يموت غيره ؟ فمن هو ؟ (درجتان) .

٩- رجل حلف بالله ثلاثًا أن يجامع زوجته في هذا اليوم ، وحلف أيضًا أن لا يغتسل في هذا اليوم ، وحلف أيضًا أن يصلي الصلوات في أوقاتها في هذا اليوم ، فماذا يفعل حتى لا يحنث ؟ (٣ درجات) .

١٠- رجل له خال وعم ، فورثه الخال دون العم ، فكيف ذلك ؟ (٤ درجات) .

١١- اكتب في حدود سبعة أسطر تعريفًا لكل كتاب من الكتب الآتية :

(المجموع - العدة - الأم - الكشاف - الديباج - الفهرست - الأدب المفرد - القاموس المحيط) ؟ (٨ درجات) .

١٢- (استعمل مجلة التوحيد فقط في إجابة هذا السؤال) :

أ- اذكر عناوين وأماكن حديث المجلة سنة ١٤١٧ هـ ، ١٤١٨ هـ عن اليهود ؟ (٤ درجات) .

ب- اذكر موقف أنصار السنة من التطرف ؟ مع ذكر المواضع التي رجعت إليها ؟ (٤ درجات) .

جـ- استعمل عشرين من عناوين المقالات الواردة بالمجلة سنة ١٤١٨ هـ ضمن مقال مفيد في صفحتين ، (ضع العناوين بين قوسين أثناء الكتابة) (سننشر - إن شاء الله - أفضل ٣ مقالات ، بالإضافة للجوائز) ؟ (١٠ درجات) .

١٣- اذكر أسماء كل من : (العشرة المبشرون بالجنة) ، (أمهات المؤمنين) ، (عشرة من كتب التفسير) ، (عشرة من كتب الحديث) ، (عشرة ممن تولوا مشيخة الأزهر) ، (عشرة فروع لأنصار السنة في المحافظة التي تسكن بها ، مع الاستكمال من أقرب محافظة عند الضرورة) ؟ (١٢ درجة) .

١٤- اكتب هذين البيت شعرًا منظومًا :

ووو هـ ووو وبساطٌ ينطوي طيَّ الفُوط
وغزال يرتعي في روضةٍ و + ... (درجتان)

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

✹ جميع الأسئلة حقيقية ولا مجال فيها للتأويل ✹

ثالثًا : جوائز المسابقة :

جوائز المسابقة : (**مائة جائزة**)

١- الفائز الأول . ٢- الفائز الثاني . ٣- الفائز الثالث .

حج بيت الله الحرام

٤- من الفائز الرابع إلى العاشر : **عمرة لكل فائز** .

١١- الفائز الحادي عشر : ٣٠٠ جنيهًا . ١٢- الفائز الثاني عشر : ٢٥٠ جنيهًا .

١٣- الفائز الثالث عشر : ٢٠٠ جنيهًا . ١٤- إلى ٢٠- من الرابع عشر إلى العشرين : ١٥٠ جنيهًا لكل فائز .

٢١- ٢٥ من الحادي والعشرين إلى الخامس والعشرين : ١٠٠ جنيه لكل فائز .

٢٦- ١٠٠ من السادس والعشرين إلى المائة : مجموعات كتب علوم شرعية لكل متسابق (قائمة بأسماء الكتب ، يختار كل متسابق خمسة منها) .

رابعًا : شروط المسابقة :

١- السن لا يقل عن عشرين سنة . ٢- الإجابة بخط واضح جدًا ، أو بالآلة الكاتبة ، أو الكمبيوتر .

٣- ترسل الإجابات في الفترة من ١٠- ٢٥ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ ، الموافق ٨/٣ إلى ١٩٩٨/٨/١٨ م . وذلك على العنوان الآتي : ٨ ش قوله - عابدين - القاهرة - مجلة التوحيد - أنصار السنة المحمدية ، (بالبريد أو باليد) ، مع ضرورة كتابة الاسم والعنوان والوظيفة ورقم الهاتف (إن وجد) .

٤- الإجابة لا تزيد عن ١٥ صفحة فلوسكاب . ٥- عدم تصوير كوبون المسابقة .

٦- يحرم الغش ، كما نرجو من الدعاة والعلماء الامتناع عن إجابة أسئلة المسابقة في فترة انعقادها ، وذلك لإعطاء فرصة متساوية وعادلة لجميع المتسابقين . ٧- يحظر اشتراك أكثر من فرد من نفس الأسرة .

٨- سوف تستبعد إجابة أي متسابق يخالف شرطًا أو أكثر من الشروط السابقة .

✹ ستعلن أسماء الفائزين - إن شاء الله على صفحات مجلة التوحيد فور انتهاء التصحيح .
وندعو الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

مسابقة التوحيد الكبرى

كوبون مسابقة التوحيد

الاسم ....

العنوان: ....

رقم التليفون ....

السن ....

الوظيفة ....

يتم نزع الكوبون وإرساله مع الحل لكل مشترك

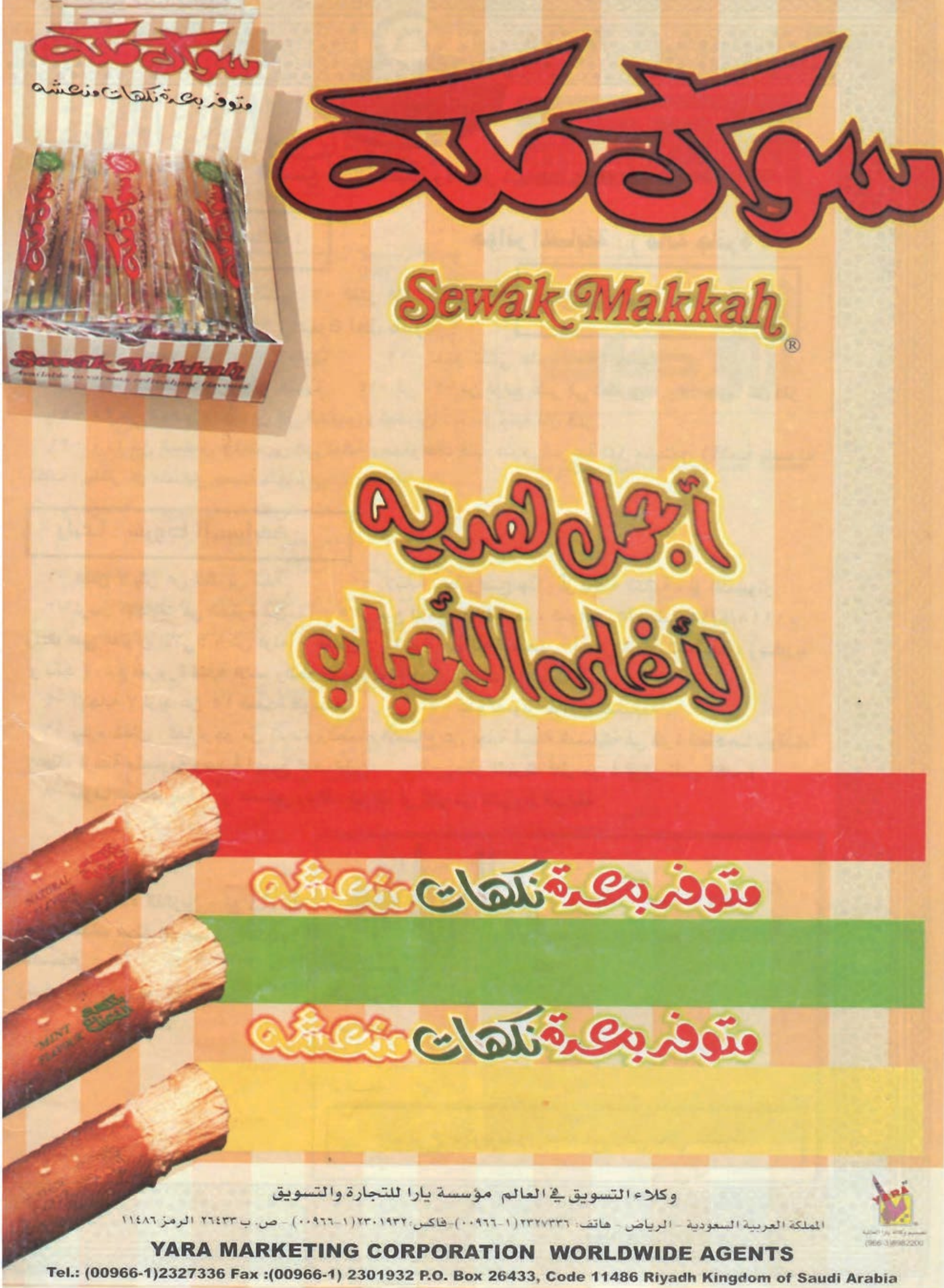
سواك مكة
متوفر بعدة نكهات منعشة
Sewak Makkah
Available in various refreshing flavours
NATURAL FLAVOUR
MINT FLAVOUR

سواك مكة

Sewak Makkah®

أجمل هدية لأغلى الأحباب

متوفر بعدة نكهات منعشة

متوفر بعدة نكهات منعشة

وكلاء التسويق في العالم مؤسسة يارا للتجارة والتسويق

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف: ٢٣٢٧٣٣٦(١-٠٠٩٦٦)-فاكس: ٢٣٠١٩٣٢(١-٠٠٩٦٦) - ص. ب ٢٦٤٣٣ الرمز ١١٤٨٦

YARA MARKETING CORPORATION WORLDWIDE AGENTS

Tel.: (00966-1)2327336 Fax :(00966-1) 2301932 P.O. Box 26433, Code 11486 Riyadh Kingdom of Saudi Arabia